٤٩١٨

ICC

٢١٢

ت . ب تفسير البيضاوى ، عبدالله بن عمر - ٦٨٥ هـ
كتب فى القرن العاشر الهجرى تقديرا .
ج ١ (٢٣٩ق) المسطرة مختلفة ٢١×١٥سم
نسخة جيده ، الخط والورق مغاير ، من
٤٩١٨ أول سورة الاعراف حتى سورة الاسراء . طبع
الاعلام ٤ :٢٤٨ شذرات الذهب ٥ :٣٩٢
١ - التفسير ؛ القرآن الكريم وعلومه
أ - المؤلف ب - تاريخ النسخ جـ - أنوار
التنزيل وأسرار التأويل .

١٢٢

اول سورة الاعراف

٣٥

هذا الربع الثالث من تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٤٩١٨ ف ٢٢٠/١ د
العنوان: تفسير البيضاوي
المؤلف: عبد الله بن عمر البيضاوي
تاريخ النسخ: القرن العاشر الهجري
اسم الناسخ:
عدد الأوراق: ١٢٠ (٢٩ سطر) ١٥×٢١ سم
ملاحظات:

سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وايها مايتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو
كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القران انزل اليك صفة
فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر
او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه
وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفا يحتمل العطف والجواب
وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا تحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل
او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم
انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمومنين يحتمل النصب باضمار فعلها
اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع
عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران
والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا
من دونه اوليا يضلونكم من الجن والانس ويحتمل الضمير في من دونه
لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اوليا وقرى ولا تبتغوا
قليلا ما تذكرون اي تذكروا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث
تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت

مصدرية لم ينتصب قليلا تذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد
مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها
اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها جا اهلها باسنا عذابنا
بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه
اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير
فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص
الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجي العذاب فيهما افظع
فما كان دعواهم اي دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم
باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليهم فلنسالن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل
ولنسالن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة
وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام
او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم
على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل
والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم

وما

وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء
او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة
كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما
روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا
كل سجل مد البصر فتخرج بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل
توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه قال ليأتي العظيم السمين
يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي
هو الوزن الحق صفة او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن
ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف
الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف
ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف
فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن

نافع انه همزها تشبيها بالياء فيه زايده كصحايف قليلا ما تشكرون فيما
صنعت لكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم طينا غير مصور
ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا
خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملايكة اسجدوا
لادم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد
ولا صلة مثلها في لئلا يعلم موكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة
على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشي مضطر الى خلافه
فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب
والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعاد
ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا
يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به فهو الذي سن
التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله
باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه
بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو

ملاكه

ملاكه ولذلك امر الملايكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والاية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كاينه
ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار
الجزء الغالب قال فاهبط منها من السما او الجنة فما يكون لك فما يصح
ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان
التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد
عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله تعالى لتكبره
قال عليه السلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني
الى يوم يبعثون اي امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال
انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جا
مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله
انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته
قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوايهم باي طريق
يمكنني بسبب اغوايك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي وتكليفا
بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان
اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع ع
للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله

لدن بهن الكنى بعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره
على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن **ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم** اي من جميع الجهات مثل قصده
اياهم بالتسويل والاضلال من اى جهة يمكنه باتيان العدو من الجهات
الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن
ابن عباس رضى الله عنهما من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم
من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمايلهم من جهة حسناتهم وسياتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز
عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن
شمايلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم
تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتدا لانه
منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتى منهما كالمنحرف
عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم
شاكرين** مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
لما راى فيهم مبدا الشر متعدد ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملايكة
قال اخرج منها مذؤما مذمومًا من ذامه اذا ذمه وقرى مذوما كمسول

وهو الشيطان والنفس والهوى ح

وهو الملك الملهم حـه

في

في مسؤل او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما **مدحورا** مصرودا **لمن
تبعك منهم** اللام فيه لتوطية القسم وجوابه **لاملان جهنم منكم اجمعين**
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرى لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان
على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب **ويا ادم** اي وقلنا يا ادم **اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة**
وقرى هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من اليا **فتكونا من
الظالمين** فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف
والنصب على الجواب **فوسوس لهما الشيطان** اي فعل الوسوسة لاجلهما وهو
في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد
سبق في البقرة كيفية الوسوسة **ليبدي لهما** ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسة ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك
عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج
من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **ما ووري عنهما من سوآتهما** ما
غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر
وانما لم تقلب الواو المضمومة الهمزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير
واصل لان الثانية مدة وقرى سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على

الواو بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبيا
وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في
ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغنا عن الاطعمة
والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسم لهما بالقول
وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة ونبه به على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلا ارسال الشى
من اعلا الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا
لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدلت لهما
سوآتهما اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم
المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان
الشجرة كانت السنبلة او الكرمة او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة
او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة
عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرى يخصفان من

اخصف

اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ
على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا
ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن
الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل
على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز
المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة
المقربين في استعظام الصغير من السيات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لادم وحوى وذريتهما او لهما ولابليس كرر
الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا او خبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض
عدو فى موقع الحال اى متعادين ولكم في الارض مستقر استقرارا وموضع
استقرار ومتاع الى حين الى تقضى اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون للجزا يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه
لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام
وقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداوها
ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون البيت عراة

ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فنزلت ولعل ذكر قصة ادم
تقدمت لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان
من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون
به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترشو الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو
جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل
الايمان وقيل الصمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا وخبره
ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير
وقرا نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على ولباسا
ذلك اى انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم
يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبايح يا بنى
ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم
كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها النهى
فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سواتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورويتهم
ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا يقتضى امتناع رويتهم وتمثلهم لنا

انا

انا جعلنا الشياطين اوليا للذين لا يومنون بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما
سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد
الابا والافترا على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى
بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا لان عادته جرت على الامر بمحاسن
الافعال والحث على مكارم الاخلاق الخصال ولا دلالة فيه على ان
قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلى فان المراد بالفاحشة
ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل انهما
جوابا سوالين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباوكم فقالوا الله امرنا
بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا
اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافترا على
الله قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى
عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها الى نحو القبلة عند

كل مسجد في وقت كل سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد
حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشاكم
ابتدا تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابدا
تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل
كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم
فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى
القضا السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم
اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطي والمعاند
سوا في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني
ادم خذوا زينتكم ثيابكم لموارات عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة
ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بني عامر
في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى
الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما

كل

كل ما شيت والبس ما شيت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة
وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف اية فقال
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع من الثياب وساير
ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشرب
وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة
لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا
بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا
يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر
بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم
نفصل ساير الاحكام قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه
وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم
وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر
افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي موكد له معنى وان
تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم
اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد

في صفاتد والافترى عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة
او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جا اجلهم انقرضت
مدتهم اوحان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون
ولا يتقدمون اقصر وقت اولا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول
يابني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكره
بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جايز من غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما التاكيد معنى الشرط ولذلك اكد
فعلها بالنون و جوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اوليك اصحاب النار هم
فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا
باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
ممن تقول على الله ما لم يقل وكذب ما قاله اوليك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم
فيه حتى اذا جاتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال
من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب
اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي الالهة التي كنتم تعبدونها

وما

٨
وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال لهم الله
يوم القيمة او احد من الملايكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين
في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم
الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة
اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتدا بها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اي دخولا
او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله
لا معهم ربنا هولا اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل
ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم باليا على الانفصال
وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا
كلامهم على جواب الله لهم لاخراهم ورتبوا عليه اى فقد ثبت ان لا
فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قبل.

اى انفصال كرامة عن الاخرى المناسب للغيبة زكريا

العزيقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي عن
الايان بها لا تفتح لهم ابواب السما لادعيتهم واعمالهم اولارواحهم
كما تفتح لاعمال المومنين وارواحهم لتتصل بالملايكة والتاني تفتح
لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف
وقرا حمزه والكساى به وباليا لان التانيث غير حقيقى والفعل
مقدم على البنا للفاعل ونصب الابواب بالتا على ان الفعل للايات
وباليا على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط اي حتى يدخل مثل ما هو فى اعظم الجرم وهو البعير فيما هو
مثل في ضيق المسلك وهو ثقب الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف
وقرى الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل
وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وفى سم المخيط وهو الخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل
ذلك الجزا الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن
فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه
وللصرف عند غيره وقرى غواش على الغا المحذوف وكذلك نجزي
الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع

الحرما

الحرما من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اوليك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعد
بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب
فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرى لا تكلف نفس ونزعنا
ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون
وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم
وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما جزاوه هذا وما كنا لنهتدى لولا ان
هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبنية
للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك
اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين في
الاخرة ونودوا ان تلكموا الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنا دى
له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو
حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكموا
وان فى المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداه والتاذين من

القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما
وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا
لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن
موذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على
الظالمين وقرا ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجرا
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة
او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج
بالكسر في المعاني والاعيان مما لم يكن منتصبه وبالفتح في المنتصبة كالحايط
والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله
تعالى وضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما
الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع
عن الشي فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طايفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشا

وقيل

وقيل قوم علت درجاتهم كالانبيا او الشهدا او خيار المومنين وعلما وهم
او ملايكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلاماتهم التي اعلمهم بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها
في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك
بالالهام او تعليم الملايكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا
نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على
الوجه الاول ومن اصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقا
اصحاب النار قالوا نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
من روسا الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما
كنتم تستكبرون عن الحق او عن الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة
اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى ضعفا اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون
ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة
او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى
ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب

النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله او بعض
الملايكة اهولا الذين اقسمتم وقرى وقرى ادخلوا ودخلوا على الاستيناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوه وهو دليل على ان
الجنة فوق النار من الما او مما رزقكم الله ومن ساير
الاشربة ليلايم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وما باردا
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم
عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة
والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف
به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار
كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له
وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جيناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام
والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جا حكيما وفيه
دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول
وقرى فضلناه اي على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى

ورحمة

ورحمة لقوم يومنون حال من الما هل ينظرون هل ينتظرون الا
تاويله الا ما يوول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جات رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاوا بالحق فهل لنا من شفعا
فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرى بالنصب عطفا على
فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسول احد الامرين وعلى
الثاني ان يكون لهم شفعا اما لاحد الامرين او امر واحد وهو الرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرى بالرفع اي فنحن نعمل
قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون
بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يوميذ دبره او في
مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم يكن حينيذ وفي خلق الاشيا مدرجا مع القدرة على ايجاده دفعة
واحدة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور
ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستوى
على العرش صفة لله سبحانه وتعالى بلا كيف والمعنى انه له تعالى استوا
على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش

الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار
يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قري يغشي
الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكساي ويعقوب
وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكثير يطلبه
حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شي والحثيث فعيل
من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا
او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
بقضايه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات
على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتدا والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية
في الوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم
ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو
الله سبحانه وتعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم
على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما
اشار بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد السفلية
الاجرام السفليه فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم

قسمها

قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق
الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السما الى الارض بتحريك
الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليل والنهار ثم صرح بما هو فذلك
التقدير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم
بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذو
تضرع وخفية فان الاخفا دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في الدعا وغيره نبه على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق
به كرتبة الانبيا والصعود الى السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب
فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب
المرا ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من سخطك والنار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبيا وشرع

الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم
استحقاقكم وطمع في اجابة تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر
قريب او على تشبيه بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو مصدر
كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذى يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح
على الوحده نشرا جمع نشر بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف
حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه
مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرى
به وبشرا بفتح البا مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين
يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير سحابا والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت
واشتقاقه من القلة فان المقل للشى يستقله سحابا ثقالا بالما
جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب
وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لاحيايه

اولسقيه

اولسقيه وقرى ميّت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق
او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الما
واذا كان للبلد فالبا للالصاق في الاول والظرفية فى الثانى
واذا كان لغيره فهى للسببيه فيهما من كل الثمرات من كل انواعها
كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احيا
البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة الناميه فيه ونطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث
ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها ونطريتها بالقوى
والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر
على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربه يخرج نباته
باذن ربه بمشيته وبتيسيره عبر به عن كثرة النبات
وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقع في مقابله والذى
خبث اى كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا
عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى
خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرى يخرج اى يخرج
البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا

نعكدا ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف
الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة
الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن
تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم
يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم
محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها
مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما
صدر منها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس
اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة
او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي
اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره
وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث
وقع اذا كان قبله اله من التي تخفض وقرئ
بالنصب على الاستثنا اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم اي ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم
القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملا من قومه اي الاشراف فانهم يملاون
العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم
ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات
وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين

استدراك

استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال
ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او
استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا
وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف
الاوقات فيها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام
او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبيا قبله كصحف شيث
وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم
وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من
قدرته وشدة بطشه ومن جهته بالوحي اشيا لا علم لكم بها
او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي
اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم
رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من
جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال
البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
اباينا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منها بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفايدة
حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من
الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا
يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهو
من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل
عشرة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن
به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول
او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين

واصله عميين فخففت وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته
على الثبات والى عاد اخاهم هودا عطف على نوحا الى قومه
هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ
بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم
لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم
يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك
جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال الملا الذين كفروا من قومه اذ
كان من اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك
في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين
قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم لقد ابلغتكم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبيا
الكفرة عن كلماتهم الحمقا بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله
وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين
واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح اي في
مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان
شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل
عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم
ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة
قامة وقوة فاذكروا الا الله تعميم بعد تخصيص
لعلكم

لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المودي
الى الفلاح قالوا اجيتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
اباونا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض
عما اشرك به اباوهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه
ومعنى المجي في اجيتنا اما المجي من مكان اعتزل به عن
قومه او من السما على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله
افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد
وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع
من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسما سميتموها انتم
واباوكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشيا سميتموها الهة
وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات
هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله
تعالى اما بانزال اية او نصب حجة تبين ان منتهى حجتهم
وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على
تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يوبه بقوله
واظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به
على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو
لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسما مخترعة
لم ينزل الله بها سلطانا وضعفها ظاهر فانتظروا لما وضح
الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني
معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة
منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم
وما كانوا مومنين تعريض بمن امن منهم وتنبيه
على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان

روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم
هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر
عنهم ثلاث سنين حتي اجهدهم وكان الناس
حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلا توجهوا
الي البيت الحرام وطلبوا من الله تعالي الفرج فجهزوا
اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين
من اعيانهم وكان اذا ذاك كذا بمكة العمالقة اولاد
عمليق بن لاود بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم
وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا
يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له
فلما راي ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك
واستحي ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل
مقامهم فعلم القينتين الابيات:
الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا
امسوا ما يبينون الكلاما
حتي غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا يسقون بدعائكم ولكن
ان اطعتم نبيكم وتبتم الي الله سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسوه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل
اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله
سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد
من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال
اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت علي
عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عظيم فاهلكتهم
وجاء

ونجا هود والمومنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها
حتي ماتوا والي ثمود قبيلة اخري من العرب سموا باسم
ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام وقيل
سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ
مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم
الحجر بين الحجاز والشام الي وادي القري
اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن
حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة علي
صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم اية استئناف لبيانها
واية نصب علي الحال والعامل فيها معني الاشارة ولكم بيان
لمن هي له اية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف
بيان ولكم خبرا عاملا في اية واضافة الناقة الي الله
لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب
معهودة ولذلك كانت اية فذروها تاكل في ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة
الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذي مبالغة في الامر وازاحة
للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب النهي واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض ارض
الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها
او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والاجر
وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا علي الحال المقدرة او
المفعول علي ان التقدير بيوتا من الجبال او

ينحتون يعني ينجرون واذكروا آلاء الله ولا تعثوا
في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه
اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين
استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من
الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه
وبدل البعض ان كان للذين أتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا به عن الجواب المستوفي الذي هو
نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه
عاقل ويخفى على ذوي رأي وانما الكلام فيمن
آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا
من قومه انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه
معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها واسند الى كلهم
فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا
عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم
صالح عليه السلام بقوله فذروها وقالوا يا صالح
ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة
الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين
ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض
وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا
اخرج

اخرج معنا الى عيدنا فندعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب
له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم
جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج
من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم
فصلى ودعا ربه تعالى فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة
ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب
اوثانهم ورباب بن صعر وكان كاهنهم فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى
تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا
لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه اذ انفتحت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا
العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان
بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم

كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب
بدر وقال انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم
ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او
واذكر لوطا او واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من
العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والبا للتعدية ومن الاولى
لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة
استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة
ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة
من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ
في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موضع الحال
وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه
على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون
اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت
بهم الى ارتكاب امثالها وهو اعتياد الاسراف في كل شي
او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن
محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم
الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه
ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه
من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله
اي من امن به الا امرأته فانها كانت تسر الكفر
كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا
والتذكير

لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا
وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ١٨
ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا
عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم
وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن
ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن
مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم يريد به المعجزة التي كانت له وليس في القران انها
ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم
التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع
عصا ادم على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة
يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل
اي آلة الكيل والميزان كما في سورة هود على الاضمار او اطلاق
الكيل على المكيال كالعيش على المعاش او بالكيل ووزن الميزان
ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم
تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير
وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
او اهلها والانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا الانبياء فيها والاضافة
فيها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى
الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق

من طرف الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا
لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا
يسعى في شي منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد
فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك
ويوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق
وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع
الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من
امن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول
يصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول يوعدون
لقال ويصدونهم ويوعدون بما عطف عليه في موضع
الحال من الضمير في وتقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها
معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم وعددكم فكثركم
بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من
الامم قبلكم فاعتبروا بهم وان كان طائفة منكم
امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يومنوا فاصبروا فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين
على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو
خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من
قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط
لان الانبيا لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن
غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى
ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين
اي

اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدونا في حال
كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا
الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث يزعمون
لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه
حق وقيل انه جواب قسم محذوف وتقديره والله لقد
افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله
ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته
وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون
وسع ربنا كل شي علما اي احاط علمه بكل شي مما كان وما يكون
منا ومنهم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من
الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا
وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه
وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملا الذين كفروا
من قومه لين اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون
لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطا باللام
فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم
الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين
اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم
يغنوا فيها اي استوصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى
المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا
لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول
واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم

وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قال تاسفا
بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر علي نفسه فقال فكيف
آسي علي قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم مانزل
عليهم لكفرهم او قاله اعتذارا عن شدة حزنه عليهم
عليهم والمعني لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم يصدقوا قولي فكيف
آسي بأما ليتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالباسا والضرا بالبوس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا
ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلا والشدة السلامة والسعة ابتلا
لهم بالامرين حتي عفوا كثروا عددوعدد اذا يقال
عفا النبات اذا كثر ومنه اعفا اللحي وقالوا قد مس
ابانا الضرا والسرا كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضرا والسرا وقد مس ابانا منه مثل ما مسنا
فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب
ولو ان اهل القري يعني القري المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا
واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات
من السما والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر
لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القري عطف
علي قوله اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما
اعتراض والمعني ابعد ذلك امن اهل القري ان
ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او
مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعني البيتوتة ويجي
بمعني

يعني التبييت كالسلام بمعني التسليم وهم نايمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او من اهل
القري وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
علي الترديد ان ياتيهم باسنا ضحي ضحوة النهار وهو
في الاصل ضوا الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون
من فرط الغفلة ويشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله
تقرير لقوله افامن اهل القري ومكر الله استعارة لاستدراج
الضمير واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من
خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي باللام لانه بمعني
تبين ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم اي الشان لو نشا اصبناهم
بجزا ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم فاعل يهد ومن
قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع علي قلوبهم عطف علي
ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او ينقطع
عنه بمعني ونحن نطبع ولا يجوز عطفه علي اصبناهم علي
انه بمعني وطبعنا لانه في سياق جواب لولا فضايه الي نفي
الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واتعاظ عتبار
تلك القري يعني قري الامم المار ذكرهم نقص عليك من
انبايها حال ان جعل القري خبرا ويكون افادته بالتقييد
بها وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين
ومن للتبعيض اي نقص بعض انبايها ولها انبا غيرها
لا نقصها ولقد جاتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما
كانوا ليومنوا عند مجيهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه
من قبل الرسل بل كانوا مستمرين علي التكذيب او فما

عفا

كانوا ليومنوا مدة عمرهم او لا حين جاتهم الرسل ولم
يوثر فيهم دعوتهم المطاولة والايات المتتابعة
واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان
لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم
بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية
اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفا عهد
فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان
والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه
حين كانوا في ضر ومخافة مثل لين انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم
لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان
المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليها وعند الكوفيين
للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى
الضمير للرسل في قوله ولقد جاتهم رسلهم او الامم باياتنا
يعني المعجزات الى فرعون وملايه فظلموا بها بان كفروا
بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا
المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن
ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان
لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في
دعوى الرسالة ولما لم يكن لدلالة قوله فظلموا بها
عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع
فقلب لامن الالتباس كقوله ويشقى الرماح بالضياطرة
الحمر

الحق اولا ما لزمك فقد لزمني او للاغراق في الوصف
بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون
انا قايله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى
حريص او وضع على مكان البا لافادة التمكن كقولهم
رميت على القوس وجيت على حالة حسنة ويويده قراة
ابي بالبا وقري حقيق ان لا اقول قد جيتكم ببينة من
ربكم فارسل معي بني اسرايل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض
المقدسة التي هي وطن ابايهم وكان قد استعبدهم
واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جيت باية من عند
من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان
وهي الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى
انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرايل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من
جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضا للناظرين اي بيضا
بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضا
للنظار لا انها كانت بيضا في جبلتها روي انه كان ادم
شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها
فاذا هي بيضا نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس
قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو

واشراف قومه على سبيل التشاور في قومه امره فحكي
عنه في سورة الشعرا وعنهم ها هنا يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان تفعل قالوا
ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل
ساحر عليم كانه اتفقت عليه اراوهم فاشاروا به
الى فرعون والارجا التاخير اي اخر امره واصله
ارجئه كما قراه ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من
ارجات وكذلك ارجهو على قراة ابن كثير على
الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا
نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي واما
قراته في رواية قالون ارجه بحذف اليا والاكتفا
بالكسرة عنها واما قراة حفص وحمزة ارجه بسكون
الها فتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في
اسكان وسطه واما قراة ابن عامر ارجئه بالهمزة
وكسر الها فلا ترتضيه النحاة فان الها لا تكسر الا
اذا كان قبلها كسرة او يا ساكنة ووجهه ان
الهمزة لما كانت تقلب يا اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي
بكل سحار فيه وفي يونس ويويده اتفاقهم عليه
في الشعرا وجا السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط
في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استانف
به كانه جواب سايل قال ما قالوا اذ جاوا وقرا ابن
كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر
كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
قال نعم اي ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على
ماسد

ماسد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة
للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا
قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال القوا كرما وتسامحا او ازدرا بهم ووثوقا على شانه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة
بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم
طلبوا رهبتهم وجاوا بسحر عظيم في فنه روي
انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات
الوادي ركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك
فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشي عن وجهه ويجوز
ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي
انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت
على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم
ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلا
مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلا مقهورين
والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم
الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم
ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين
ارادوا بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة
في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين

رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم
ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى
والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على
الاصل وقرا حفص امنتم به على الاخبار قبل ان اذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي هذا الصنع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد
لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد
مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من
كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا
لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع
تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن
على التعاقب على الفرط رحمته تعالى قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت
لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى ربنا وثوابه
ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقا الله او
مصيرنا ومصيرك الى لقا الله ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا
وما تنكره منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال
وامثل المناقب ليس مما ياتي لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا
افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الما او صب علينا
ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون
وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم
ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير
الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك
عطف

عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
ان يكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرى بالرفع
على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرى بالسكون
كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن والهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم
الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا
عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير
ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون
وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وضجروا منه
تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية
لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر
والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم
من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له
وقرى والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في
الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اوذينا
من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا
بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون
باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح
لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون

فتدبر ما يعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازي
ليجازيهم على حسب ما يوجد منهم ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به اشتق منها
فعل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات لكثرة
العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم
كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد
فيفزعوا الى الله عز وجل ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم
الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه اي لاجلنا ونحن
مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى
ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابنا الا بشؤمهم
وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان
الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك
سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا
عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكره
وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع اداة
الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما
طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده
وهو مشيئته وحكمه حكمه ومشيئته او سبب
شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها
التي ساقت عنده اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيركم
وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
انما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم وقالوا
مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة
من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها
الرفع

الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اي ما تأتي
تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم
موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في
به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار
المعنى فارسلنا عليهم الطوفان فطاف بهم وغشي اماكنهم
وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد
الجراد وقيل بنات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم
مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد يخرج من بيته
ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت
بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها
قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف
فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الكلا والزرع ما لم ينبت مثله ولم يؤمنوا فبعث
الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت
تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا
وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط
الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم
ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل
الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب
الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا

فكشف عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرايلي على اناء
فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرايلي ماء ويمص الماء من فم
الاسرايلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف
ايات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل
انها ايات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم
اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة
منها اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل
فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع
عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون ارسل عليهم
الله بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه
بها فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من
الضمير فيه يعني ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك
او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا
الى ما نطلب منك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد
من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او مهلكون وهو
وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم
اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم
فاجؤا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا
منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم
اي في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل اللجة بانهم
كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم
بسبب

بسبب تكذيبهم بالايات وعدم تفكرهم فيها حتى صاروا
كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد
وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها
يعني ارض الشام ملكها بنو اسرايل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو
قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات
وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان
كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم
وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ما من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى منهم وايقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم
وروي ان [illegible] موسى عليه السلام
عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموا شكرا
فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم
يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول
شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى
بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون
بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم
الهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون

وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا
من الايات الكبرى عن العقل ان هولا اشارة الي القوم
متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم
الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها
التقرب الي الله وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هولا
اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان
وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان
للتنبيه علي ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان
الاحباط لازب لما مضي عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا الثاني
قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم علي
العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه
تنبيه علي سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله
اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا
ان يشركوا به تعالي اخس شي من مخلوقاته واذ
نجيناكم من ال فرعون واذكروا صنيعه معكم في
هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء
العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين
او من ال فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي
الانجا او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسي
ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات
ربه اربعين ليلة بالغا اربعين ليلة روي انه عليه
السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك
فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلما هلك سال ربه تعالي فامره بصوم ثلاثين
فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك قالت الملائكة كنا
نشم

نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان
يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلي ثلاثين بالصوم
والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها
وقال موسي لاخيه هرون اخلفني كن خليفتي فيهم في
قومي واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع سالك الافساد ولا تطع
من دعاك عليه ولما جا موسي لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
واللام للاختصاص اي اختص مجيبه بميقاتنا وكلمه
ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسي
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه علي ان سماع كلامه
القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او
تتجلي لي فانظر اليك واراك وهو دليل علي ان رويته جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي
الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني لن اري ولن اريك
ولن تنظر الي تنبيها علي انه قاصر عن رويته لتوقفها
علي معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الروية
ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حيث قالوا
اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع
سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب علي استحالتها
اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته اياه علي
ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل
علي استحالتها ودعوي الضرورة فيه مكابرة او جهالة
بحقيقة الروية قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان

ان يثبت به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار
دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن
والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته
وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي له حياة ورؤية
حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكا اي ارضا مستوية
ومنه ناقة دكا للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا
دكا جمع دكا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول
ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك
من الجراة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول
المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من امن
بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على
الناس اي الموجودين في زمانك وهارون وان كان
نبيا كان ماموراً باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع
برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرا ابن كثير ونافع برسالتي
وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة
وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال
الرؤية كان يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر
وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه
من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام
واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت
من زمردا وزبرجد او ياقوت احمر او صخرة صما
كتبها الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه
وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار
القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك
والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشيا او
للرسالات

للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها
اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصاف
والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل لقوله
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان
الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ
في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقوله
الصيف احر من الشتا سأريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود
واضرابهم ليعتبروا فلا يفسقوا او دارهم في الاخرة
وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت
الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم
ساصرف عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين
يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد اليه باعلائها او باهلاكهم
بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق
وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية
منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم
بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد
بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم
والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز

ان ينصب على المصدر اي سا صرف ذلك الصرف
بسببها والذين كذبوا باياتنا ولقا الاخرة اي ولقايهم
الدار الاخرة او ما وعد الله في الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون
بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزا اعمالهم واتخذ قوم
موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر
واضافتها اليهم لانها في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم
وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر
كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم
او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على
البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ
العجل القى في فيه من تراب اثر فرس جبريل عليه
السلام فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل
الريح في جوفه فيصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم
وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه
الها وقرئ جوار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر
والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه
خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم
اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشيا في غير
موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم
كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البنا
للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم
في

في انفسهم وراوا
انهم وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن
الخطية لنكونن من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتا
وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد
الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهارون والمومنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن
في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتي ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي
او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه اعجلتم امر ربكم انتركتموه غير تام كانه ضمن عجل
معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه
من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم
بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر
حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة
الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس
اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون
كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان
احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا
من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن
عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت اليا اكتفا
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى اليا والباقون بالفتح
زيادة في التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر ان
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم
التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى

فهروني واستضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين وارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعلهم لم يفتر احد مثلها قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثرت كجرايم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي ما نسخ فيها اي كتب فعله بمعنى مفعول كالخطبة وقيل ما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي ان الله تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل واختار من كل سبط ستة فزاد اثنين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان

لمن

لمن فقال ابن من تخلف فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمني هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى او لسبب اخر او عني به انك قدرت على هلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء التجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المومن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الاخرة او فساكتبها كتبة خاصة

منهم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويوتون
الزكاة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم
والذين هم باياتنا يومنون فلا يكفرون بشي منها
الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا
تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض
او الكل والمراد من امن منهم بمحمد عليه السلام وانما سماه الرسول
رسولا بالاضافة الي الله ونبيا بالاضافة الي العباد الامي
الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها علي ان كمال علمه
مع حاله احدي معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم
كالشحوم ويحرم عليهم الخبايث كالدم ولحم الخنزير
او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من
التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا
وقطع الاعضا الخاطية وقرض موضع النجاسة
واصل الاصر الثقل الذي يا صر صاحبه اي يحبسه
عن الحركة لثقله فالذين امنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير
ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته
يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر
امره مظهر غيره او لانه كاشف للحقايق مظهر لها
ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا
النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الي اتباع
الكتاب والسنة اوليك هم المفلحون الفايزون
بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعا
موسي قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
الخطاب عام وكان رسول الله صلي الله عليه كافة
وسلم مبعوثا الي الثقلين وساير الرسل الي
اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك
السموات

السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع
او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو علي الوجه الاول بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت
مزيد تقرير لاختصاصه تعالي بالالوهية فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته ما انزل عليه
وعلي ساير الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته علي
ارادة الجنس او القران او عيسي تعريضا لليهود وتنبيها
علي ان من لم يومن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الي الغيبة
لاجرا هذه الصفات الداعية الي الايمان به والاتباع له واتبعوه
لعلكم تهتدون جعل رجا الاهتدا اثر الامرين تنبيها علي
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو
بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسي يعني بني اسرائيل
امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق
وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون
علي الايمان القايمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم علي ما هو عادة القران تنبيها علي
ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل
امر مستمر وقيل مومنوا اهل الكتاب وقيل هم قوم
وراء الصين راهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة
المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا
بعضها عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه
متضمن معني صير او حال وتانيثه للحمل علي الامة او القطعة
اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له علي ان كل واحد
من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ
بكسر الشين واسكانها امما علي الاول بدل بعد بدل او نعت
اسباطا وعلي الثاني بدل من اسباطا واوحينا الي موسي

اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايما على ان موسى لم يتوقف
في الامتثال وان ضربه لم يكن موقوفا يتوقف عليه الفعل
في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا
عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه
القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل
ما في البقرة معنى غير ان وكلوا منها بالفا افادت تسبب
سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفا شرع
بذكره او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على
وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب
وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين
وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة عليه وانما اخرج
الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس
في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر
بالتاء والبنا للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر
فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السما
بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير
والتقريع بتقدم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو
من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون
لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها
التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية
بين

٣١ بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية
اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم
السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او
بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او
بدل بعد بدل وقرئ يعدون وصله يعتدون ويعدون من الاعداد
اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا
فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر
السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام
فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون
على البنا للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال
من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا
اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل
ذلك البلاء الشديد بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله
اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية
يعني صلحاهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من
اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم
عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة
في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه
وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم
يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا
به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى
ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب
الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب
على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم

او للعرب باعوك من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب عليه
فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الـ
الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين ٣
فصار من الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو علي موسى
ومن معه فقال كيف ادعو علي من معه من الملايكة فالحوا
عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شينا لرفعناه
اي منازل الابرار من العلما بها بسبب تلك الايات وبملازمتها
ولكنه اخلد الى الارض اي مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع
هواه في ايثار الدنيا واسترضا قومه واعرض عن مقتضى
الايات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها علي ان المشية سبب لفعله الموجب
لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفا المسبب علي
انتفا سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان
ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب
من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه
ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض
واتبع هواه مبالغة وتنبيها علي ما حمله عليه وان حب الدنيا
راس كل خطية فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة
كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دايما سوا حمل عليه
بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير
الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من
التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى
لاهثا في الحالين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب
الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان
وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع علي صدره
وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
فا

فاقصص القصص المذكورة علي اليهود فانها نحو قصصهم
لعلهم يتفكرون تفكرا يودي بهم الى الاتعاظ سا مثلا القو
م مثل القوم وقرئ سا مثل القوم علي حذف المخصوص بالذم
الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم
كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا علي كذبوا
بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وتكذيب انفسهم
او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فاوليك هم الخاسرون تصريح بان
الهدى والضلال من الله فان هداية الله تختص ببعض
دون بعض وانها مستلزمة للاهتدا والافراد في الاول
والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه علي ان
المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار
في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتدا
وتنبيه علي انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة
والعنوان لها ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس يعني المصرين علي الكفر في علمه تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق
والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون بها ما خلق
الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات
والمواعظ سماع تامل وتذكر اوليك كالانعام في عدم
الفقه والابصار للاعتبار والاسماع للتدبر او في ان
مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش
مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها
ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جلبها
ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم

يعلمون انه معاند فيقذفهم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي
احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات
فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه اي واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين
يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا
كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه ولا تبالوا
بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن
اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على
الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله
والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا
عنهم وان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا
يعملون وقرا حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين
انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة
على انه خلق ايضا للجنة امة هادين للحق عادلين
في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد
منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله
عليه السلام لا يزال من امتي طائفة على الحق
الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول وغيره
لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا
باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك
قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او
الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون
ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا
انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا
في

في المعاصي لغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم
وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين
ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه عليه
السلام صعد الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم
باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت
الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره
بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما
يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة وعظم شان
مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان
مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم
وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم
قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده
بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به
منه وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنه بالطبع
والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى
النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون فكانه
قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان
بالقران وماذا ينتظرون
بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به

فبأي حديث احق منه يريدون ان يومنوا به قوله من
يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم
في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم
ويعقوب باليا لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم
عطفا على محل فلا هادي له كانه قال لا يهده احد غيره ويذرهم
في طغيانهم يعمهون يسالونك عن الساعة اي عن
القيامة وهي من الاسما الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها
عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساوها اي اثباتها
ورسو الشي ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى
السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت
وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربي
~~لا يجليها لا هو~~ استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها
الا هو والمعنى ان الخفا بها مستمر على غيره الى وقت
وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلاة
لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت
على اهلها من الملايكة والثقلين لهولها وكانه
اشارة الى الحكمة في اخفايها لا تاتيكم الا بغتة فجاة
على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج
بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل
من حفي عن الشي اذا سال عنه فان من بالغ في السوال
عن الشي والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي
بعن وقيل هي صلة يسالونك وقيل هي من الحفاوة
بمعنى

الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفي
تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل
معناه كانك حفي بالسوال عنها تحبه اي تكثره لانه من
الغيب الذي استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره
لتكرير يسالونك لما نيط به من هذه الزيادة
وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند
الله لم يوته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية
والتبري عن ادعا العلم بالغيوب الا ما شا الله من ذلك
فيلهمني ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي
عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني
سوء ان انا الا نذير وبشير ما انا الا عبد مرسل للانذار
والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان
يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو
الذي خلقكم من نفس واحدة هو ادم وجعل منها من جسدها
من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من
انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليانس
بها ويطمين اليها اطمينان الشي الى جزيه او جنسه
وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما
تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم
تلق منه ما يلقى الحوامل غالبا من الاذى او محمولا
خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت
وقعدت وقرى فمرت بالتخفيف وفاستمرت
وفمارت من المور وهو المجي والذهاب او من المرية

اي فطنت الحمل وارتابت فيه فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر
الولد في بطنها وقرئ علي البنا للمفعول اي اثقلها حملها
دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه
لنكونن من الشاكرين لك علي هذه النعمة المجددة
فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما اي جعل اولادهما
له شركا فيما اتي اولادهما فسموه عبد العزي وعبد
مناف علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالي الله عما يشركون ايشركون
ما لا يخلق شيا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت
حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في
بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج
فخافت من ذلك وذكرته لادم فهما منه ثم عاد اليها
فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله
خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد
الحارث وكان اسمه حارثا في الملايكة فتقبلت فلما ولدت
سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا تليق بالانبيا عليهم
الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم
لال قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي
وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من
الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون
الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين
بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا
فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركا وهم
ضمير الاصنام جي به علي تسميتهم بالالهة ولا
يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم
ينصرون

ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي
المشركين الي الهدي الي الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف
وفتح البا وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان
تدعوهم الي ان يهدوكم لا يتبعوكم الي مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعا من حيث
انه مسوي بالثبات علي الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها
لحوايجهم فكانه قيل سوا عليكم احداثكم دعاهم واستمراركم
علي الصمات عن دعايهم ان الذين تدعون من دون الله
اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث
انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين انها الهة ويحتمل انهم لما نحتوها
بصور الاناسي قال لهم ان قصاري
امرهم ان يكونوا احيا عقلا امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه
بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا علي
انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون
بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما
تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاوكم فلا
تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي علي
ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القران
وهو يتولي الصالحين اي ومن عادته تعالي ان يتولي

الصالحين من عباده فضلا عن انبيايه والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم
الي الهدي لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر افعال ٤
الي من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد
الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما
يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة
وامر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال
واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل
افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق امرة
للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان
نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك علي
خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ
والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء
لهم علي المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه
فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم
يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع
باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها
مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف
كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان
تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف علي انه
مصدر

مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان
الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا فاذا هم مبصرون
ما امر الله به ونهي عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر
مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه
فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم
الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقري يمدونهم
من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء
وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتي يردوهم ويجوز ان
يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الضمير الي الجاهلين فيكون الخبر جاريا علي ما هو له واذا لم
تاتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها
هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها
من الله قل انما اتبع ما يوحي الي من ربي لست بمختلق للايات
او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران
بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدي
ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قري
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في
الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة
الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما
حيث يقرا القران مطلقا وعامة العلماء علي استحبابهما
خارج الصلاة واحتج به من لا يري القراءة علي الماموم
وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار

من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة سرا
بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله
تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في
الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو
والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل
في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن
ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملا الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون
به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله
عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف
جعل الله بينه يوم القيامة وبين ابليس سترا
وكان ادم شفيعا له يوم القيامة سورة
الانفال مدنية وايها ست وسبعون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما
سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل
كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية
له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول
اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على
ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في
غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون
منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه ٢٨
وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم
حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم
وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا
عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء
ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو
قول الشافعي رحمه الله وعن سعد بن وقاص قال
لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص
واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولكن اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي
واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذهب
سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي
فخذه وقرئ يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسالونك
الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا
الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم
الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم
الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله
فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه
الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح
ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون

الذين

: الكاملون الايمان اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت
لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل
يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من
عقابه تعالى وقرئ وجلت قلوبهم بالفتح وهي لغة
وفارقة أي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ
اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول
من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون
الا اياه الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم
بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي
العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر
محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله
حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة
لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع
عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها
كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة
مصدر الفعل المقدر في قوله تعالى لله والرسول
اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة
لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم
وان

وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اخراجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام
وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام واخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على
كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن
تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة
بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من الجبل فاخذ صخرة
من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه
شيء منها فحدثت بها العباس فبلغ ابا جهل فقال ما نرضى
رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب
تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل
بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار
فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتاهب له انما خرجنا للعير فردد عليهم وقال
ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر
وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قام مقداد بن عمرو فقال
امض لما امرك ربك فانا معك حيث ما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك

فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلي
الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا
حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتي يصل
الي ديارهم فتخوف رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان لا يروا نصرته الا علي عدو دهمه بالمدينة
فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله
فقال اجل فقال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جيت به الحق واعطيناك علي ذلك عهودنا
ومواثيقنا علي السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقي بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا علي بركة الله فنشطه قوله ثم قال
سيروا علي بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني
احدي الطايفتين والله لكاني انظر الي مصارع
القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر
قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في
وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك
احدي الطايفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره
بعضهم قوله يجادلونك في الحق في الجهاد باظهار الحق
لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون
اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الي
الموت وهم ينظرون اي لا يكرهون القتال كراهة
من

من يساق الي الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة
عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة
وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الي ان مجادلتهم انما
كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدي الطايفتين
علي اضمار اذكروا احدي ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم يعني العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك
يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله
ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحي بها في هذه
الحال او باوامره للملايكة بالامداد وقري بكلمته ويقطع
دابر الكافرين ويستاصلهم والمعني انكم تريدون ان تصيبوا
مالا ولا تلقوا مكروها والله سبحانه يريد اعلاء الدين
واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين لا ريب ليحق
الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني
لبيان الداعي الي حمل الرسول علي اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او علي
اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص
من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا علي عدوك
اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام
نظر الي المشركين وهم الف والي اصحابه وهم ثلثماية

واستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب
لكم ربكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه
الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجرا
استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من
الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من
اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا
وانفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع
مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى
انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين
وادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالالف ليوافق
ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين
المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة
او الساقة او وجوههم واعيانهم اي من قاتل
منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل
عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة
لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله
عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب
ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان
من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق
بالنصر

بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل باضمار
اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته
اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو
يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله تعالى وهو مفعول
له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى
تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله
ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي او يغشيكم
امانا وان جعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز
لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت لهم امنة من الله تعالى لولاه
لم تغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك
فهو نفار يشرد وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم
رجز الشيطان يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته
وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس
اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون
انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض
على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا
وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام
اي المطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب

حتى يثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق
بيثبت الي الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو
مفعول يوحي وقري بالكسر على ارادة القول او اجراء
الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين
كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع
المومنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي
الي قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المومنين
به كانه قال لهم قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق
الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الروس واضربوا
منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الي الضرب او الامر به والخطاب للرسول
او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله
ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من
الشق لان كلا من المتعاقدين في شق خلاف شق
الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم
وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد
لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر
ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه
او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان
للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على
المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل
لكم

لكم في الاخرة ووضع الظاهر موضع المضمر فيه للدلالة
على ان الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقري
وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا
سمي به وجمع على زحوف فلا تولوهم الادبار بالانهزام
فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة
لكنها مخصوصة بقوله حرض المومنين الاية ويجوز ان
ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم
حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه
من مكايد الحرب او متحيزا الي فئة او منحازا الي فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر
القرب لما روي بن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففروا الي المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها والاستثناء من
المومنين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من
حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبيس المصير
هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الان خفف الله
عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين
معه في الحرب فلم
تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم

بنصركم وتسلطكم عليهم والقا الرعب في قلوبهم
لما روي انه لما اطلعت قريش من العقنقل قال عليه
السلام هذه قريش جات بخيلايها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال
له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقي الجمعان
تناول صلي الله عليه وسلم كفا من الحصبا فرمي بها
في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا اشتغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم
وياسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا علي التفاخر فيقول
الرجل قتلت واسرت فنزلت والفا جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الي اعينهم ولم
تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن
الله رمي اي بما هو غاية الرمي فاوصلها الي اعينهم جميعا
حتي انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت
ان اللفظ يطلق علي ما هو المسمي وعلي ما هو كماله
والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصبا ولكن الله رمي بالرعب في قلوبهم وقيل
انها نزلت في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد
ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتي مات او رمية
سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة
الحقيق علي فراشه والجمهور علي الاول وقرا ابن
عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعد
في الموضعين وليبلي المومنين منه بلا حسنا ولينعم
عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة
الايات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم
ودعائهم

ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الي البلا الحسن
او القتل والرمي ومحله الرفع اي المقصود ذلكم والامر ذلكم وقوله
وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلا
المومنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن
كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح
خطاب لاهل مكة علي سبيل التهكم وذلك انهم حين
ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر
اعلا الجندين واهدي الفيتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته
نعد لنصره ولن تغني تدفع عنكم فيتكم جماعتكم
شيا من الاغنا والمضار ولو كثرت فيتكم وان الله
مع المومنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح علي ولان الله مع المومنين كان
ذلك وقيل الاية خطاب المومنين والمعني ان تستنصروا
فقد جاكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال
والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا
اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينيذ
كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين
في ايمانهم ويوكد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ولا تولوا عنه ولا تتولوا عن الرسول
فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض
عنه وذكر طاعة الله للتوطية والتنبيه علي ان
طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول

فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه
الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع فهم
وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة
او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر
الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم
الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم
من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به
وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت
لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم
وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا
حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد
الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه
السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله
وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته عليه السلام لا تقطع
الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه لامر لا يحتمل
التاخير وللمصلي ان يقطع لمثله وظاهر الحديث يناسب
الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب
والجهل موته قال لا يعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفنه

او

او مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من
العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله
تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنون
القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة
الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه
وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه
على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه
وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر
بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الرا
واجرا الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه
تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهرهم
والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر
على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان
جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما
تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل

يوكدون بالنون المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة
القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق
هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراة من قرا
لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقا الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح
من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون في الارض ارض مكة تستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم
كانوا اذلا في ايدي فارس والروم تخافون ان
يتخطفكم الناس كفار قريش او من عاداهم
فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فاواكم
الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون فيه عن اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
او بامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنايم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في
المغانم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى
وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح
اخوانهم

اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد
ابن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم
لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال
ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم
تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال
والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي
اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه
السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون
النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد
الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو
مجزوم بالعطف على الاول او منصوب بالعطف على
الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم
علما تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة فانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من
الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضى الله عليهم وراعى
حدوده فيهم فانيطوا همكم بما يوديكم اليه

يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية
في قلوبكم يفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا
يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال
الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما
تحذرون في الدارين او ظهورا يشهد امركم وبيت
صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر
لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر
والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر
لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو
الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده الله لهم على التقوى
تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم
عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر
بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون
بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به
ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام
الانصار ومتابعتهم فزعوا واجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس
في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا
فقال

فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا
منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان
تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم
ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل انا رايي ان تاخذوا من كل قبيلة
بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع
ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله
برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة
الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا
انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه
من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده
الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان
قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام

السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم
قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواهم مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره
الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من
كلام ذلك القايل به ابلغ في الجحود روي انه لما قال
النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلي
الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعني
ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة
علي انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم
واظهار اليقين والجزم التام علي كونه باطلا
وقري الحق بالرفع علي ان هو مبتدا غير فصل وفايدة
التعريف فيه الدلالة علي ان المعلق به كونه حقا
بالوجه الذي يدعيه النبي صلي الله عليه وسلم
وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة
دعايهم واللام لتاكيد النفي والدلالة علي ان تعذيبهم
عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن
عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم
اما

اما استغفار من بقي فيه من المومنين او قولهم اللهم غفرانك
او فرضه علي معني لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك
ليهلك القري بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله اي
اي شي حصل لهم وبالهم مما يمنع تعذيبهم متي زال ذلك وكيف
لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن
صدهم عنه الجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم والمومنين الي
الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية
امره مع شركهم وهو رد لما يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من
الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم
من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة
العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاوهم او
ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقري بالقصر كالبكا
وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد
علي ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقري صلاتهم
بالنصب علي انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد
فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون اذا اراد النبي صلي الله عليه وسلم

ان يعلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلحون ايضا فذوقوا
يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان
تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني
عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم
عشر جزرا وفي ابي سفيان استاجر ليوم احد
الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية او لاصحاب العير فانه لما اصيب
قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب
محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل
الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها
ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو
انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما
وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة
وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان
كان الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين
كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى
جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر
من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون
او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول
الله

الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه ليزيد به عذابه كما
الكافرين المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز
من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على
بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكموا
لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به
عذابه كما للكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة
الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه
والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من
ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على
الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم
شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان
الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون
بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم
وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة
الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويجازي

تغليفه بانهما يمهد الفعل انه كما يستدعي اثابتهم
للمباشرة يستدعي اثابة مقابلتهم للتسبب وان تولوا
ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به
ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من
تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما
غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء
مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا
خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان
بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في
قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد
قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكانه
قال فان لله خمسه يصرف الى هولاء الاخصين به
وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول يصرف الى
ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله
الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى
بوفاته عليه السلام وصار الكل مصروفا الى الثلاثة
الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه
الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية فقال
يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة
لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت
المال وقيل مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى
بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلام
قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير
بن

ابن مطعم هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه
السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك
بين اصابعه وقيل بنو قريش وحدهم وقيل جميع
قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص
بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم
والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان
الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة
ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا
من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل
عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله فاعلموا انه
جعل الخمس لهولاء فسلموه لهم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد
منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود
بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات
والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين ع
الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه
فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان
المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر
على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم
بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات

الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر
وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى
البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب
الواو يا كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجا على الاصل
كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من
مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع
موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفايدتها
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان
العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل
ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ما بخلاف
العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم للقتال
ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد
هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان
ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا
للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه
وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت
من

ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها ليلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة
بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك
ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في
علم الله وقضايه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير
ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل
على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه
وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله
في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم
الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في
عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا
لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت
اراكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم
انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه الله عليم
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير
احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني
وانما قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا
عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم
مثليهم لتفجاهم الكثرة فتبهتهم وتكسر

وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين
فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام ويقللكم في اعينهم

قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان
كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الابصار عن
ابصارهم لبعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله
امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد
بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام
واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين
اذا لقيتم فئة حاربتم ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان
يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال
واثقا بان لطفه سبحانه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا
الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر
او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك
قرئ

ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها
في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة
لا تكون الا بريح يبعثها وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة
والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل
مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك
انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان
ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله
حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان
ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن
سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين
ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا
اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر
بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان
جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن
على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه
واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة
الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية
والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان
اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا
اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل ولكم خبر لا غالب

او صفة وليس صلة والا لانتصب كقولك لا ضاربا
زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقا الفريقان نكص
علي عقبيه رجع القهقري اي بطل كيده وعاد ما خيل لهم انه
مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني اري
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس
من حالهم لما راي امداد الله المسلمين بالملايكة وقيل لما
اجتمعت قريش علي المسير ذكرت ما بينها وبين كنانة
من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة
سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني
مجير لكم من بني كنانة فلما راي الملايكة تنزل نكص
وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الي اين
اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني اري ما لا ترون ودفع
في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فلما بلغه ذلك قال والله ما شعرت
بمسيركم حتي بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه
الشيطان وعلي هذا يحتمل ان يكون معني قوله اني اخا
ف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملايكة
او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
اذ راي فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن
واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان
يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمينوا الي الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون
وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر
هولا يعنون المومنين دينهم حين تعرضوا لما
لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثماية وبضعة عشر
الي

الي زها الف ومن يتوكل علي الله جواب لهم والله عزيز
غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته
البالغة ما ~~يستقبحه~~ يستبعده العقل ويعجز عن
ادراكه ولو تري ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا
عكس ان اذ يتوفي الذين كفروا الملايكة ببدر واذ
ظرف تري والمفعول محذوف اي ولو تري الكفرة او
حالهم حينيذ والملايكة فاعل يتوفي ويدل عليه قراءة ابن
عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل
وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من
الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو علي
الاول حال منهم او من الملايكة او منهما لاشتماله علي
الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد
تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا عذاب الحريق عطف علي يضربون باضمار
القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله
ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام
للعبيد عطف علي ما للدلالة علي ان سببيته مقيدة بانضمامه
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير جرمهم لا ان لا يعذبهم
بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم
شرعا ولا عقلا حتي ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب ال فرعون اي داب هولا
مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي
دابوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل
ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم

فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلا انه قوي شديد
العقاب لا يغلبه في دفعه شي ذلك اشارة الي ما حل بهم
بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها علي قوم
مبدلا اياها بالنقمة حتي يغيروا ما بانفسهم يبدلوا
ما بهم من الحال الي حال اسوا كتغيير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل
بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة
دماءهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الي غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله
ما انعم عليهم حتي يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم
له وهو جري عادته تعالي علي تغييره متي يغيروا
حالهم بل ما هو المفهوم واصل لم يك يكون فحذف
الحركة للجزم ثم الواو لالتقا الساكنين ثم النون
لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون
عليم بما يفعلون كداب ال فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون
تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة علي كفران النعم
بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول
لتسبيبه الكفر والاخذ به والثاني لسببية التغيير في
النعمة بتسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق
المكذبة او من غرقا القبط وقتلي قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا اصروا علي الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون
فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
علي الكفر بانهم لا يؤمنون والفا للعطف والتنبيه
علي ان تحقق المعطوف عليه مستدع تحقق المعطوف
وقوله

وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في
كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص
وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين عليه بالسلاح
وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الي مكة فحالفهم
ومن لتضمين المعاهدة معني الاخذ والمراد بالمرة مرة
المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته
او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه
عليهم فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل
عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم
من الكفرة والتشريد تفريق علي اضطراب وقرئ فشرذ
بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعني
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد
في الورا لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون
واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم علي سوا
علي عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب
فانه يكون خيانة منك او علي سوا في الخوف او العلم
بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ علي الوجه
الاول اي ثابتا علي طريق سوي او منه او من المنبوذ
اليهم او منهما علي غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة ~~القتال~~
القتال المدلول عليه بالحال علي طريقة الا
استئناف ولا تحسبن خطاب للنبي صلي الله

عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا
ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد
او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم
فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان
ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع
الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر
وان الاصل او سبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين
والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا
لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه على سبيل
الاستئناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ
العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من
فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي
او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به
في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته يقول عليه
السلام على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا
ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن
رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال
بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورابط
مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال
على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب
ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين
من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا
ومنه

ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام
وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير
لحمل السلم على نقيضها فيه قال الشاعر السلم تاخذ
منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم
خداعا فيه وان الله يعصمك من مكرهم وحيفه انه
هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة
باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها
اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم
حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع
ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك
على الانتقام حيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس
واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من
الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم
بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف ما يريده
وقيل الاية في الاوس والخزرج كانت بينهم احن لا امد
لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم وافناهم الله ذلك والف
بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي

في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجا واشتجر
القنا فحسبك والضحاك سيف مهند ::: او الجر عطفا على المكني عند
الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمومنون والاية
نزلت بالبيدا في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت فلذلك قال ابن عباس نزلت
في اسلامه يا ايها النبي حرض المومنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصل
الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من
الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وان يكن منكم
مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد
للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا
ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتا في الاثنين ووافقهم البصريان
في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله
واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المومنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات
قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الان
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب
على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف
الله عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيه القلة فامروا
بذلك ثم لما كثروا خفف الله عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر

الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد
والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه
لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله
مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي
على المعهود ان تكون له اسرى وقرا البصريان بالياء حتى يثخن في الارض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام و
يستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفدا والله
يريد الاخرة يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز
دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل
امري تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياؤه ٥
على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روي انه عليه السلام
اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار
فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة
الكفر وان الله اغناك عن الفدا امكني من فلان لنسيب له ومكن عليا
وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم

ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا فنزلت
فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكا
بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم
الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبيا مجتهدون
وانه قد يكون خطا ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب
من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح
وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا يعذب اهل
بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية
التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم
من الفدا عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو
نزل العذاب ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ
وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم
من الفدية فانها من جملة الغنايم وقيل امسكوا عن
الغنايم فنزلت والفا للتسبب والسبب محذوف تقديره
ابحت لكم الغنايم فكلوا وبحده تشبث بعض من
الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع
في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على
الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في
مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح
لكم ما اخذتم
وهذا ابو عمر يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
كبرك من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا
يوتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفدا روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وبني اخويه
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني
اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه السلام فاين الذهب
الذي دفعته لام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني
لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث
فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما
يدريك فقال اخبرني به ربي تعالى فقال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد غير
الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني
الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع
اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني
الموعود بها بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان
يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك
فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاق الماخوذ بالعقل
من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان
اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم
ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا
اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم
فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين
اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم
ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اوليا بعض
في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله
واولو الارحام بعضهم اولى ببعض بالنصرة
والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شي حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وهذا

حدة والحساني بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب
فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه
لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في
الميراث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا
تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل
بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع
العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض
تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور
الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المومنون حقا لما قسم المومنين ثلاثة اقسام
بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا
ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه والحق
بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولو
الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله في حكمه او في اللوح المحفوظ او القران
واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل
شيء

شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام
والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة
وشاهد انه بريء من النفاق واعطي له عشر حسنات بعدد
كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حياته سورة براءة مدنية وقيل الا ايتين
من اخرها لقد جاكم رسول وهي اخر ما نزل ولها
اسما اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة
والمثيرة والحافرة والمنكلة والمخزية والفاضحة والمدمدمة
والمشردة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمومنين
والقشقشة من النفاق وهو التبري منه والبحث عن
حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم
وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم وايها مائة
وثلاثون اية وقيل وتسع وعشرون وانما تركت التسمية
فيها انها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين
موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها
تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر
العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل اختلف الصحابة
في انهما سورة واحدة سابقة السبع الطوال او سورتان
فتركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من
الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة
بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها

على تسميتها براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله
والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود
المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق
الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي
العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة
فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين
اربعة اشهر ليسيروا اين شاوا فقال فسيحوا
في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة
والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرين من
ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها
لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم
وقد كان بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له
بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما
دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف وقال هذا رغا
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال
امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم
النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم
ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان
لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت

بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة وان يتم
الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يودي عني الا رجل مني
ليس على العموم فانه عليه السلام بعث ليودي عنه كثيرا
لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان
عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل
منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان
يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله
لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين
بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان
من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى
الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على
الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام
الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي
انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم
عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان
المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه
اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع
فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده عيد اهل
الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله اي بان الله بري من المشركين اي من
عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بري او
على محل ان واسمها في قراة من كسرها اجرا

للاذان مجري القول وقري بالنصب عطفا علي اسم
ان او لان الواو بمعني مع ولا تكرير فيه فان قوله
براة من الله اخبار بثبوت البراة وهذه اخبار
بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص
بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب
خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم عن التولي عن
الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله لا يفوتونه
طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا
بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين
استثنا من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم
بعد ان امروا بنبذ العهد الي الناكثين ولكن الذين
عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد
ولم ينكثوه ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم
الي مدتهم اي الي تمام مدتهم ولا تجروهم مجري
الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه
علي ان اتمام عهدهم من باب التقوي فاذا
انسلخ انقضي واصل الانسلاخ خروج الشي مما
لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح
للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو
القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضي بقا حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا
المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من
حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ
الاسير

الاسير واحصروهم واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد
الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في
البلاد وانتصابه علي الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم
فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشي من ذلك وفيه
دليل علي ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلي سبيله
ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور
رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة
وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك
استامنك فطلب منك جوارك فاجره فامنه حتي يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع علي حقيقة الامر ثم
ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل
يفسره ما بعده لا بالابتدا لان ان من عوامل الفعل
ذلك الامر والامن بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان
وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما
يسمعوا ويتدبروا كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان
يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف
وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو علي
الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف علي
الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا
فتبيين يتعلق بيكون او بحذوف الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب علي الاستثنا
او الجر علي البدل او الرفع علي ان الاستثنا منقطع
اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما
استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان
استقاموا علي العهد فاستقيموا علي الوفا وهو كقوله
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما
يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين

سبق بيانه كيف استبعاد لثباتهم على العهد او بقاء حكمه
مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله
وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة
وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم
انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا
حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله
اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم
كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا
يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه
من ال الشيء اذا حدده ومن ال البرق اذا لمع وقيل
انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا بل فهو جبرائيل
وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية
لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند
الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا
فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث
ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحال تنافيه وتابى
قلوبهم ما تفوه به افواههم واكثرهم فاسقون
متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة
من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة
السوء

[illegible] اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا
قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الهوى والشهوات فصدوا
عن سبيله اي دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر
الحجاج والعمار فالفا للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى
الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما دل عليه
قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير
وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا
وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم
فاولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم فهم اخوانكم
في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات
لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من الاحكام
المعاهدين او لخصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من
بعد عهدهم وان نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان
والوفا بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب
وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم
صاروا ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل
وقيل المراد بالائمة رؤس المشركين فالتخصيص اما
لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم
وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح
عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
والتصريح لحن انهم لا ايمان لا ايمان لهم على الحقيقة

والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي يطعن
في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية
على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان
المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله
وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى
لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد
وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجله
لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم
في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم
كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على
القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت
المبالغة للتحضيض في الفعل نكثوا ايمانهم التي
حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج
الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على
ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل
هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
وهموا باخراجه من المدينة وهم بدأوكم اول مرة بالمعاداة
والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن
معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتقاتلوهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية
ان ينالكم منهم مكروه فالله احق ان تخشوه فقاتلوا
اعداءه

اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية
الايمان ان لا يخشى الا منه تعالى قاتلوهم امر بالقتال
بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن
من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين
يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا
مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان
الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم
وقد وفى الله تعالى بما وعدهم والاية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب
عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب
على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان
القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم اخرين
والله عليم بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم
الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره
بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان
عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دو

الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون
اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منه على
ان تبيين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم
غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله
ولما يعلم ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد
الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها
فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي
عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم
بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال
من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين
متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه
اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم
واغلظ له علي في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك
حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من
الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى
الزكاة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين
للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة
والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له
من حديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان
بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى

فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
٦٤ المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به
ولدلالة قوله واقام الصلاة واتى الزكاة عليه ولم يخش
الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير
جبلي لا يكاد يتمالك عنها فعسى ان يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين
في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا
بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين
ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر سقى
وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار
تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن او اجعلتم
سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ
سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه
المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم
المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله
وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم
الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين

في سبيل الله امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة
ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية
والعمارة عندكم واولئك هم الفايزون بالثواب
ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم
مقيم دايم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف
وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين و
التعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم وابناءكم واخوانكم
اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة
قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا و
ذهبت تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن
موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى
لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان
ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم
فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة
فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة
وقرا

وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم واموال
اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها
فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون
الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه
فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر
عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر
في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين
ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف
على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما
اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم
في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف حارب فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة
الذين حضروا فتح مكة وانضم اليهم الفان من الطلقاء
هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال
النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على
كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس

اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا
شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان
صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا
يقولون لبيك لبيك فنزلت الملائكة والتقوا مع المشركين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس
ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب
الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا
من الغنا او امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه
تقوم من شدة الرعب او لا يثبتون فيها كمن
لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال
ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا
على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا واعادة
الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا
مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم
يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية
او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا
بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي
ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من
بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق الى الاسلام
والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
روي

روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد
سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ
ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان هولاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان في يده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني
لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا
فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب
عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن
النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم
نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون
ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد
الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن
الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة نزول
براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان

وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان
لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم
الله من فضله وتفضله بوجه اخر وقد انجز سبحانه
وعده بان ارسل السما عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة
وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عايلة
علي انها مصدر كالعافية او حال ان شا قيده بالمشية
لينقطع الامال الي الله ولينبه علي انه تعالي متفضل في ذلك
وان الغني الموعود يكون لبعض دون بعض وفي
عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما
يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر اي لا يومنون بهما علي ما ينبغي كما بيناه في
اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة
وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعني انهم
يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا
يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان
ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يومنون
حتي يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من
جزي دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي
عن يد مواتية بمعني منقادين او عن يدهم بمعني
مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك
منع من التوكيل فيه او عن غني ولذلك قيل لا توخذ
من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعني عاجزين
اذلا او عن انعام عليهم فان ابقاهم بالجزية
نعمة

نعمة عظيمة او من الجزية بمعني نقدا او مسلمة عن يد الي
يد وهم صاغرون اذلا وعن ابن عباس توخذ الجزية
من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص
الجزية باهل الكتاب ويويده ان عمر رضي الله عنه
لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتي شهد عبد الرحمان
ابن عوف انه اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا
بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا توخذ منهم
الجزية عندنا وعند ابي حنيفة توخذ منهم الا من
مشركي العرب لما روي الزهري انه عليه السلام صالح
عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك توخذ
من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سوا
فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة علي الغني
ثمانية واربعون درهما وعلي المتوسط نصفها وعلي الفقير
الكسوب ربعها ولا شي علي فقير غير كسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم
يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية
وهو لما احياه الله بعد ماية عام املي عليهم التورية
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل
علي ان هذا القول كان فيهم ان الاية قريت عليهم
فلم يكذبوا مع تهالكهم علي التكذيب وقرا عاصم
ويعقوب عزير بالتنوين علي انه عربي مخبر
عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراة الاخري
اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقا الساكنين

تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر
محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه
يودي الى تسليم النسب وانكاره للخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم
وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد
لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار
بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل
الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان
يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين
كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من
قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر
قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات
الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرا به عاصم
ومنه قولهم امراة ضهيا على فعيل للتي شابهت
الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل
ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه
ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون اربابا فيكون
كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا
الها

الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله
بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية
او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه
له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا
نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد
او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويابى الله الا ان يتم
نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق
يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب
لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون كرر غير
انه وضع المشركون موضع الكافرين للدلالة على انهم
ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره
للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على
سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها
الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال
الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمى
اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون
عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير
من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم
بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه

[illegible] ويابى الا ان يتم نوره

ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ
ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض
الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه
السلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد
عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما
امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفرا
او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها
لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن
ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان
يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب
اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي
يوم يوقد النار ذات حمي شديد عليها واصلها
يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذف
النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على
المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان
لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال
علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة
وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل
الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام
وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او
للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على
ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم
الشهية

الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن
السائل واعرضوا عنه وولوا ظهورهم او لانها اشرف
الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربع التي هي مقاديم البدن ومؤخره وجنباه هذا
ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين
مضرتها وكان سببا تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون
بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله
معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب
الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر
وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى
ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام
والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة
سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم
اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا
تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها
والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا
كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه
لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام

محاصرا الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي
القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
جميعا وهي مصدر كف عن الشي فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
بشارة لهم وضمان بالنصرة بسبب تقواهم انما
النسي اي تاخير حرمة الشهر الي شهر اخر كانوا اذا
جا شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه
شهرا اخر حتي رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد وعن نافع وعن نافع برواية ورش
انما النسي بقلب الهمزة يا وادغام اليا فيها وقري النسي
بحذفها والنسي والنسا والنسا وثلاثتها مصادر نساه
اذا اخره
ما حرمه زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل
الذين كفروا فهو كفر ضموه الي كفرهم يضل به
وحفص اضلالا لانه ابدا وعن حمزة والكسائي
ان الفعل لله يضل بالبنا للمفعول وعن يعقوب يضل علي
او لمن احدث ذلك يحلونه عاما فيثبت كونه علي حرمته قبل
علي جهل في الموسم ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم
المحرم فا يحلوه فينادي ان الهتنا قد احلت لكم
يحرمونه عاما ثم ينادي في القابل ان الهتنا قد
للضلال عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير
عدة الاربعة او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا
دل عليه مجموع الفعلين المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما
فيحلوا ما حرم الله بمواطأة
العدة

العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم
وقري علي البنا للفاعل وهو الله تعالى والمعني خذلهم واضلهم
حتي حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين
هداية موصلة الي الاهتدا يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطاتم وقري تثاقلتم علي
الاصل واثاقلتم علي الاستفهام للتوبيخ الي الارض
متعلق به كانه ضمن معني الاخلاد والميل فعدي بالي
وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من
الطايف في وقت عسرة وقيظ مع بعد السفر وكثرة
العدو فشق عليهم
في الاخرة ارضيتم بالحياة الدنيا فما التمتع بها
كرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا
ان لا تنفروا الي ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا
اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل
قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل
اليمن وابنا فارس ولا تضروه شيا اذ لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه شيا فانه تعالى الغني عن كل شي وفي
شي امر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم اي
ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة
ووعده تعالى حق والله علي كل شي قدير فيقدر
علي التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا
مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي
ان لم تنصروه فسوف ينصره الله كما

نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم
يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم
ما هو كالدليل عليه مقامه وان لم تنصروه فقد اوجب
الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن
يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان
همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالسكون
في الخروج وقرئ ثاني اثنين على لغة من يجري المنقوص
مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل
من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في
اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا
اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله
عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق
الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون
حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في
اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي
تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه وهو
الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني
الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر
والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي
العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك
بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده
اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا
يعقوب

الله
يعقوب كلمة بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ
لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان
فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط
الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا
لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم
ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من
السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال
نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم
وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما
ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم
انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به
صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا
اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا
متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم
الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة
العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها
بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد
جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع
قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو
بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس
في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون

في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك
كناية عن خطايه في الاذن فان العفو من روادفه
لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة
عليه والمعني لاي شي اذنت لهم في القعود حين
استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتي
يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين
فيه قيل انما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم
شيئين لم يومر بهما اخذه الفدا واذنه للمنافقين
فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة
المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص
منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه علي الاذن فيه فضلا
ان يستاذنوا في التخلف عنه او ان يستاذنوك في
التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة
لهم بالتقوي وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في
التخلف الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر تخصيص
الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار
بان الباعث علي الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم
الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
اهبة وقري عدة بحذف التا عند الاضافة كقوله
واقام الصلاة وعده بكسر العين
باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم

[illegible]

عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا
ولكن تثبطوا لانه تعالي كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل
اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقا الله كراهة الخروج
في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او
حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم
والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلي الوجهين
لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم
معكم الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون
لهم خبال حتي لو خرجوا ازدادوه لان الزيادة باعتبار
العام الذي وقع منه الاستثنا ولهذا التغير جعل
الاستثنا منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون الا بعد
ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة
والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير
وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال
من اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون
قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل
اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما
يتاتي منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان
ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول صلي الله عليه وسلم الي ذي جدة

او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام
نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن
مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان
يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه
كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان من خاص
ماله وقد عد منهم من يولف قلبه بشي على قتال
الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المولفة
لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر
اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
ان يعاون المكاتب بشي منها على اداء النجوم
وقيل من يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد
او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في
للدلالة لان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل
للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين
لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او
لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنيا لقوله عليه
السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغازي في
سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او جار
رجل له مسكين فتصدق على المسكين فاهدى
المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف
في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع
والسلاح وقيل في بنا القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من
الله

الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة
او حال من الضمير المستكن في للفقرا وقرئ بالرفع على
تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشيا في مواضعها
وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف
الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة
التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي
وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال
الايمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي
شيخي ووالدي رحمة الله عليهما على ان الاية بيان ان
الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم
الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال
له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او
اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل
روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم
نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق
له بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل
من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يومن
بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويومن
للمومنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام
مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى
التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة
للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله
ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل

قولك رجلا الخير بل رفقا بكم ونذرا عليكم وقرا حمزة ورحمة
بالجر عطفا علي خير وقرئت بالنصب علي انها علة فعل دل
عليه اذن خير اي ياذن رحمة وقرا نافع اذن بالتخفيف
فيهما وقرئ اذن خير علي ان خير صفة له او خبر
ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه
يحلفون بالله لكم علي معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا
ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله
ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضا بالطاعة
والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين ولان
الكلام في ايذا الرسول وارضائه او لان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين
صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتا من
يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد
فان له نار جهنم خالدا فيها علي حذف الخبر اي فحق
ان له نار جهنم او علي تكرير ان للتاكيد ويحتمل
ان يكون معطوفا علي انه ويكون الجواب محذوفا
تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان
بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الاهلاك الدايم
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم علي المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج
به عليهم وذلك يدل علي ترددهم ايضا في كفرهم
وانهم لم يكونوا علي بت في امر الرسول بشي وقيل
انه خبر بمعني الامر وقيل كانوا يقولونه فيما
بينهم استهزا لقوله قل استهزؤا ان الله
مخرج

مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرون من
انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم
ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان
ركب المنافقين مروا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الي هذا الرجل يريد
ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر
الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
لا والله ما كنا في شي من امرك وامر اصحابك ولكن كنا
في شي مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا علي بعض
السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون
توبيخا علي استهزايهم بمن لا يصح الاستهزا به والزاما
للحجة عليهم ولا يعبا باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانه معلومة الكذب قد
كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذا الرسول صلي الله
عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طايفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
او لتجنبهم عن الايذا والاستهزا نعذب طايفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين علي النفاق او مقدمين
علي الايذا والاستهزا وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ
بالياء وبنا الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتا والبنا
للمفعول ذهابا الي المعني كانه قال ان ترحم طايفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة
في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشي الواحد
وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم
وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه

فانه يدل على مضادة حالهم لحال المومنين وهو قوله
يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض
اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا عن ذكر الله
وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من فضله ولطفه
ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين
الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عذابها ولعنهم الله ابعدهم عن رحمته واهانهم
ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه
او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من
قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين
من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم
بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ
الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه
مقدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم
بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية
والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في
طلب ودخلتم بالباطل تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء اثارهم وخضتم كالذي
خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذين خاضوا
او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم
في

في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين
واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة
الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم
ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب
مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم
الظلة والموتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم
اي انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من
سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
بالبينات يعني الحال فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من
عادته تعالى ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض
في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة
ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور
اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين موكدة للوقوع
ان الله عزيز غالب على كل شي لا يمتنع عليه سبحانه
ما يريده حكيم يضع الاشياء موضعها وعد الله المومنين
والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها
العيش وفي الحديث انها قصور من اللولو والزبرجد

والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه
عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
فيها يحتمل ان يكون الي تعدد الموعود لكل واحد
او للجميع علي سبيل التوزيع او الي تغاير وصفه فكانه
وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن
التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش
معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عنه شي
منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في
جوار العليين لا يعتريهم فيها فنا ولا تغير
ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان
من الله اكبر لانه المبدا لكل سعادة وكرامة
والمودي الي نيل الوصول والفوز باللقا وعنه عليه
السلام ان الله تعالي يقول لاهل الجنة هل رضيتم
فيقولون ومالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول سبحانه انا اعطيكم افضل من ذلك
قالوا واي شي افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك
ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم
يحلفون

يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال
الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من
الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس بن سويد وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر
بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول
وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من
تبوك ان يدفعوه عن راحلته الي الوادي اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة وقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
او اخراجه واخراج المومنين من المدينة او بان يتوجوا عبد
الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلي الله عليه وسلم
وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة
كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدم رسول الله
صلي الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صلي الله عليه وسلم بديته اثني عشر
الف درهم فاستغنى والاستثنا مفرغ عن اعم المفاعيل
او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس
علي التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار
علي النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل
والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم
من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله

لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب
اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا
فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن
رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة وسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي
فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان
الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال
هذا عملك امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى
عمر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عثمان فلم يقبلها وهلك في
زمن عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق
الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض عنها فأعقبهم نفاقا في قلوبهم اي
فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم
ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله
بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا
الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من

من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم
كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من
الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
ألم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء
أن الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم
من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما
يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكاة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون
ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم
وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين
في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء
عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية
آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت احدى امرأتيه
على نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق
عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري
بصاع تمر وقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح
وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على

سخر منهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم
علي كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به
التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص
عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان
من المخلصين سال رسول الله صلي الله عليه وسلم
في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال صلي
الله عليه وسلم لازيدن علي السبعين فنزلت عليهم
سوا استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد
المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراه فبين المراد به التكثير دون التحديد
وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة علي اقسام العدد جملة
فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة
الي ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس
لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهو كالدليل علي الحكم السابق
فان مغفرة الكفار بالاقلاع عن الكفر والارشاد الي
الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا
يهتدي والتنبيه علي عذر الرسول واستغفاره
وهو عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم
مطبوعون علي الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربي من بعد
ما

تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال اقام
خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعني المخالفة
فيكون انتصابه علي العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض
علي طاعة الله وفيه تعريض بالمومنين الذين اثروا
عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا
في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمومنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو
كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها
بايثار الدعة علي الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
جزا بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في
الدنيا والاخرة اخرجه علي صيغة الامر للدلالة علي انه
حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكا كنايتين
عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان
رجعك الله الي طائفة منهم فان ردك الي المدينة وفيها طائفة
من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا
منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر
رجلا فاستاذنوك للخروج الي غزوة اخري بعد
تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا اخبار في معني النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود
اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم علي تخلفهم واول مرة هي الخرجة الي
غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين

لعدم لياقتهم للجهاد كالنسا والصبيان وقرئ من الخلفين
علي فضل الخالفين ولا تصل علي احد منهم مات ابدا روي
ان ابن ابي دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم في مرضه
فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره
الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن
فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلي عليه ثم نزلت
وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلاة عليه
لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة
لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة
الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر
ولذلك رتب النهي عن قوله مات ابدا يعني الموت علي الكفر
فان احيا الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحيي ولا
تقم علي قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل
للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما
يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الي الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز
ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة
من القران ويجوز ان تكون يراد بها بعضها ان امنوا
بالله بان امنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة
وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا
بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة وقد يقال
الخالفة

الخالفة للذي لا خير فيه وطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف
عنه عليه السلام من الشقاوة لكن الرسول جاهدوا — والذين امنوا معه
باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا
فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع
الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في ٧٦
الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي
جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطلب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
يعني اسد وغطفان
وجا المعذرون من الاعراب ليوذن لهم
استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغار
طيي علي اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر
فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التا في الذال ونقل حركتها الي العين ويجوز كسر العين
لالتقا الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بها وقرا يعقوب
المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون
بتشديد العين والذال علي انه من تعذر بمعني اعتذر
وهو لحن اذ التا لا تدغم في العين وقد اختلف في
كونهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون
قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم
وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعا
الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من

المقعد ريب فان منهم من اعتذر لكسله لا للكفر عذاب
اليم بالقتل والنار ليس على الضعفا ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر
اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر
والعلانية كما يفعل الموالي الناصح اذا قدروا عليه فعلا
او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على
المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة
على انهم منخرطين في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك
والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على
الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفا او على المحسنين
وهم البكاءون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر
ابن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم ابن عمير وثعلبة
وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
ابن غنمة وعبد الله بن مغفل اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا انذر ربنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد
فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد
والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب
اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان
من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز
وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان
العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او
الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا
ما ينفقون

ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين
يستاذنوك وهم اغنيا واجدون للاهبة رضوا بان
يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناة والانتظام في جملة
الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون
اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة
قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن
نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى
نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد
وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون
عليه فكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه تعالى مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت
عن علمه شي من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم انهم رجس
لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير
بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو
علة الاعراض وترك المعاتبة وماواهم جهنم من
تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار
لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل
ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم

جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان
يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم
رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في
سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم
لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك ستره ولا ينزل
الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى
عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض
وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا
ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة
واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله
عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق ريا او تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون
من دار يدور وسمي به عقبة الزمان والسوء بالفتح
مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل سوء ٣
والله

٣ وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين م

81

والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون
ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات
وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر
ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند
اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه
السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله
ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من
الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف
مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم
سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم
والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره
قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية
في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا الى
القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل
الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن
عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين
اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين

(وقرا ورش قربة بضم الراء م)

من السابقين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضا
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من نعمه الدينية
والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار
وفي قراءة تجري من تحتها الانهار كما في ساير المواضع
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
اي ممن حول بلدكم يعني المدينة من الاعراب منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق
ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله
قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينه وبينها بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا
لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم وتنوقهم في تحامي
مواقع التهم على حد يخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا
سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما
وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان
ثم يردون الى عذاب عظيم الى النار واخرون اعترفوا
بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة

الكاذبة وهم طايفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد على
عادته وصلى ركعتين فسال عنهم فذكر له
انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال عليه
السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت
فاطلقهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل
الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
باخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما
بمعنى البا كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما او للدلالة
على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب
عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله
اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التايب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة
روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من
اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب او حب
المال المودي بهم الى مثله وقرئ وتطهرهم من
اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر
وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل
المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعا والاستغفار
لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمين بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا

حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعتذارهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم
والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتذار
يحول فانهم اولغيرهم والمراد التحضيض عليهما
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعدية بعن
لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها
قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب
الرحيم وان من شانه تعالى قبول توبة التائبين
والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله
عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله
والمؤمنون فان الله تعالى لا يخفى عنهم كما رايتم
وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون
من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوفون
في امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة
والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق
واما يتوب عليهم ان تابوا للترديد للعباد
وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى
والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ
والله غفور رحيم والمراد بهم كعب بن مالك وهلال
ابن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى
الله

الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون
مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع
وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني
عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد
ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا
قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية
فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ عليه السلام ثوبه
ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
ابن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل
واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي
يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا
يجتمعون للصلاة في مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن
حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم
حنين فانهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي
من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمات بقنسرين وحيدا وقيل كان
يجمع الجيوش يوم حنين الاحزاب فلما انهزموا

خرج الي الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هولا بالتخلف لما روي انه بني
قبل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان ياتيه فقال انا علي جناح سفر واذا
قدمنا ان شا الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت
وليحلفن ان اردنا الا الحسني ما اردنا ببنايه الا الخصلة
الحسني او الارادة الحسني وهي الصلاة والذكر والتوسعة
علي المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس علي التقوي
يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلي الله عليه
وسلم وصلي فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الي الجمعة
لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلي الله عليه
وسلم لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلي الله
عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من اول يوم من ايام وجوده ومن تقع الزمان والمكان
كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر
احق ان تقوم فيه اولي بان تصلي فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
والله يحب المطهرين يرضي عنهم ويدنيهم من
جنابه ادنا المحب حبيبه قيل لما نزلت مشي رسول الله
صلي الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتي وقف
علي مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه
انهم

عليه السلام
انهم مؤمنون وانا معهم فقال اترضون بالقضا قالوا نعم
قال اتصبرون علي البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا
قالوا نعم قال عليه السلام انتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس
ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثني عليكم
فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا رجال
يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه
علي تقوي من الله ورضوان خير علي قاعدة محكمة
هي التقوي من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من
اسس بنيانه علي شفا جرف هار علي قاعدة هي
اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادي
به لخوره وقلة استمساكه الي السقوط في النار وانما
وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهاير في مقابلة
التقوي تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار
ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها علي ان تاسيس
ذلك علي امر يحفظه عن النار ويوصله الي رضوان
الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا
علي ما هم بسببه علي صدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم ان مصيرهم الي النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر
اسس علي البنا للمفعول وقري اساس بنيانه
واس بنيانه علي الاضافة واسس واساس بالفتح
وثلاثتها جمع اس وتقوي بالتنوين علي ان
الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة
وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي

لقوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم
الذي بنوا بناهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر
عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى
ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم
فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله
عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازدادوا بحيث
لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو
في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة
وقيل المراد بالتقطع ما هو كاين بالقتل او في القبر
او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا
يعقوب الى بحرف الانتها وتقطع بمعنى تتقطع وهو
قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء
وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم بالتخفيف على
الخطاب للرسول او كل مخاطب ولو قطعت على
البنا للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم
فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى
اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
بيان ما لاجله الشرا وقيل يقاتلون في معنى
الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم البنا للمفعول
وقد

وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض
قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر موكد لما دل عليه
الشرا فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل والقران
مذكور فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله
مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم
عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التايبون
رفع على المدح اي هم التايبون والمراد بهم المومنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره محذوف
تقديره التايبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله
وكلا وعد الله الحسنى وخبره ما بعده اي التايبون عن
الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ
بالياء على المدح او جرا صفة للمومنين العابدون نصبا
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمايه
او لما نابهم من السرا والضرا السايحون الصايمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها
لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك
والملكوت او السايحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان
والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي
والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في

بحيث خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين
الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله فيما
بينه وعينوه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان
ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان
بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة
هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف
عليه وكذلك تسمى واو الثمانية وبشر المومنين
يعني به هولا الموصوفين بتلك الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان وضع المومنين موضع ضميرهم
للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المومن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه
قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته
الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح
مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن
لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
فانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل
على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم
للايمان وبه دفع النقض استغفار ابراهيم لابيه
الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه
لقوله

لقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان
فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها
ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو
لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يومن تبرا
منه قطع استغفاره ان ابراهيم لأواه لكثير التاوه وهو
كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى
والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار مع شكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويواخذهم
مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون
يعني يبين لهم خطر ما يجب اتقاوه وكانه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع
وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر
ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان
الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك
السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا
اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم راسا
بين لهم ان الله سبحانه مالك كل موجود ومتولي امره والغالب
عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشرا
شرهم اليه ويتبروا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما
ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف او براهم
عن علقة الذنوب لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى
ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين

والانصار لقوله وتوبوا الي الله جميعا اذ مامن احد الا وله
مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقي اليه توبة من
تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبيا والصالحين
من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي
حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يتعقب
العشرة علي بعير واحد والزاد حتي قيل ان الرجلين
كانا يقتسمان تمرة والما حتي شربوا الفظ من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات علي الايمان او اتباع
الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد
عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء
لان تانيث القلوب غير حقيقي وقري من بعد ما زاغت
قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير
للتاكيد وتنبيه علي انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا
من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه
بهم روف رحيم وعلي الثلاثة وتاب علي الثلاثة كعب
بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتي اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس
عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم
انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من
سخطه الا اليه الا الي استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق
للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في
جملة التايبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة
مرة بعد اخري ليستقيموا علي توبتهم ان الله هو
التواب

التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل
عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا
مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا
وعملا وقري من الصادقين او في توبتهم وانابتهم
فيكون المراد به هولا الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه
ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة
بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والما البارد فنظر فقال ظل
ظليل ورطب يانع وما بارد وامراة حسنا ورسول الله
صلي الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
صلي الله عليه وسلم طرفه الي الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول
الله صلي الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا النصب
والجزم ذلك اشارة الي ما دل عليه قوله ما كان من
النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظما شي من العطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطاون

موطيا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطاه
ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا
كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك
مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على
احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان
الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم
باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق
المومنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلايهم
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون
واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل
اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا
كتب لهم اي اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن
ما كانوا يعملون جزا احسن اعمالهم او احسن جزا اعمالهم
وما كان المومنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان
ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم
لهم ان يتثبطوا جميعا فانه مخل بامر المعاش فلولا نفر
منهم من كل فرقة طايفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة
كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في
الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية
سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه
دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفايات
وانه

وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم
لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة
ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفرد
ذو بقرية او ذو بقرية طايفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي
يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم
يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي
المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين
ما نزل سبق المومنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم
يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان
الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوايف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف اي ولينذر البواقي
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق
بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا
فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرى بفتح الغين
وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم

زادته
منها المنا ففيهم من يقول انكارا واستهزا ايكم زادته
هذه ايمانا وقرئ ايكم بالنصب علي اضمار فعل يفسره
زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم الحاصل تدبر السورة وانضمام الايمان بها
فيها الي ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب
لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في
قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الي رجسهم كفرا
بها مضموما الي الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون
واستحكم ذلك فيهم حتي ماتوا وهم عليه اولا يرون
يعني المنافقين وقرئ بالتا انهم يفتنون يبتلون
باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلي الله عليه
وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من
نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الي بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية
او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون
هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم
احد قاموا وان راهم احد اقاموا (وقعدوا) ثم انصرفوا عن
حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعا بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون

السورة ح

مرة او مرتين ح

مخافة الفضيحة م

لسو

لسو فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاوكم المكروه
حريص عليكم علي ايمانكم واصلاح شانكم بالمومنين منكم
ومن غيركم روف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الروف
الروف لان الرافة شدة الرحمة محافظة علي الفواصل
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك
معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه
توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش
العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي
تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع
وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي
صلي الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية
وحرفا حرفا ما خلا سورة براة وقل هو الله احد فانهما
انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة

سورة يونس عليه السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عطايا يعد فيهما

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون اجراً
لالف الرا مجرا المنقلبة عن اليا تلك ايات الكتاب الحكيم
اشارة الي ما تضمنته السورة او القران من الاي او المراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه
كلام الحكيم او محكم اياته لم ينسخ شي منها اكان للناس عجبا
استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقري
بالرفع علي ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجبا واللام للدلالة علي انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون
نحوه انكارهم واستهزاهم الي رجل منهم من افنا رجالهم
دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يعتبرون انه الا في المال وخفة
الحال اعون شي في هذا الباب ولذلك قالوا ان كان الانبيا قبله
كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق
ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او
المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعول اوحينا وبشر
الذين امنوا عمم الانذار اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي
ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح
ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم
سابقة ومنزلة رفيعة سميت بها النعمة لانها تعطي باليد
واضافتها الي الصدق لتحققها علي انها انما يسالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وما جا به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون
لساحر علي ان الاشارة الي الرسول وفيه اعتراف بانهم
صادقوا

صادقوا من الرسول صلي الله عليه امورا خارقة للعادة
معجزة اياهم عن المعارضة صحة وقري ما هذا الا سحر مبين
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول
الممكنات في ستة ايام ثم استوي علي العرش يدبر الامر
يقدر امر الكائنات علي ما اقتضته حكمته وسبقت به
كلمته ويهيي بتحريكه اسبابها وتنزلها منه والتدبير
النظر في ادبار الامور لتجي محمودة العاقبة ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد علي من
زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة
لمن اذن له ذلكم الله ربكم اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية
للالوهية والربوبية ربكم لا غيره اذ لا يشاركه احد في شي
من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون
ادني تفكر فينبهكم علي انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الي غيره فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من
الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
انه يبدا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم
علي العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم
كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة
قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما
كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب
من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم
للمبالغة في استحقاقهم العقاب والتنبيه علي ان المقصود
بالذات من الابدا والاعادة مجازاة الله المكلفين علي

اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا
انه يبدا بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او
مرفوعا بما نصب وعد الله وبما نصب حقا هو الذي جعل
الشمس ضيا اي ذات ضيا وهو مصدر كقيام او جمع ضو
كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير
ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على
العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو
اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في
ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها
وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما
منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة
سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك
علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق
الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى
الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص
يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق
الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على
وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم
يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين
لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من
الاخرة

الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين
هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون
فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين
من الهاه حب العاجل عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك
ماواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به
من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او
لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب
وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل
الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال
الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف
له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال
من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات
النعيم خبر او حال اخر منه او من الانهار
او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم
سبحانك اللهم اي اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها سلام
اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها

سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
اي يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبرياه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال
ثم حياهم الملايكة بالسلامة عن الافات والفوز
باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه
بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قري
بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه
اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير
اشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كان
استعجالهم به تعجيل لهم والمراد اهل مكة استعجالهم الاخير
كقولهم فامطر علينا حجارة من السما وتقدير الكلام ولو
يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
مثل استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب
لقضى على البنا للفاعل وهو الله تعالى وقري لقضينا فنذر
الذين لا يرجون لقانا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل
محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا
نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس
الانسان الضر دعانا الا انه مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه
اي مضطجعا او قاعدا او قايما وفايدة الترديد تعميم الدعا
لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره
مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف

موقف الدعا لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه
حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم
يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال الجوارح
والقوى لا على ما ينبغي وجاتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة
على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا
وما كانوا ليومنوا وما استقام لهم ان يومنوا لفساد
استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه تعالى بانهم يموتون
على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزا
وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه
بحيث تحقق انه لا فايدة في امهالهم نجزي القوم
المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيك فوضع المظهر موضع الضمير
للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلايف
في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون
التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون
اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف
معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه
ما قبله وفايدته الدلالة على ان المعتبر في الجزا
جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك
يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم

ايتنا ببنات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين
ايت بقران غير هذا بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه
ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت
او ما نكرهه من ذم الهتنا او بدله بان تجعل مكان
الاية المشتملة علي ذلك اية اخري ولعلهم سالوه عن
ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح
لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وانما اكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحي
الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف
فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض
ورد لما عرضوا له بهذا السوال من ان القران كلامه
واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا
فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب
يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به علي لساني وعن
ابن كثير ولادراكم به بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولاعلمكم به علي لسان غيري والمعني انه الحق
الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري
وقرئ ولا ادراكم ولا ادرأتكم بالهمز فيهما علي
لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او علي انه
من الدرء بمعني الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء
تدروني

تدرونني بالجدال والمعني ان الامر بمشية الله لا بمشيتي
حتي اجعله علي نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله
فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من قبله من بين اظهرهم
قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الي ان القران معجز
خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا
ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوي علي قواعد
علم الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الاخرين علي ما هي عليه علم انه معلم به
من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر
والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افتري
علي الله كذبا تفادي مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين
بافترائهم علي الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او
كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر علي
نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا
حتي تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء
الاوثان شفعاونا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور
الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين
فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد
الضار النافع الي عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع
علي توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له تعالي شريكا وفيه تقريع وتهكم
بهم او هؤلاء شفعاونا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات
لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال

حال من الفاعل بل المحذوف فهو كلمة للنفي منبهة علي
انما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي
ولا شي من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلكم
لا يليق ان يشرك به سبحانه سبحانه وتعالي عما يشركون
عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به
وما كان الناس الا امة واحدة موجودين علي الفطرة
او متفقين علي الحق وذلك في عهد ادم عليه السلام
الي ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او علي الضلال
في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوي والاباطيل
او ببعثة الرسل فتبعتهم طايفة واصرت اخري ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم والعذاب الفاصل
بينهم اي يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزا لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقا
المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات
التي اقترحوها فقل انما الغيب لله فهو المختص بعلمه
فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن
انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الايات العظام
واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
من بعد ضرا مستهم قحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع
سنين حتي كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون
في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر
عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل علي سرعتهم
المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية
والمكر

والمكر اخفا الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء علي
المكرات ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه
علي ما دبروا في اخفائه لم يخف علي الحفظة فضلا ان يخفي علي
علي الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو
الذي يسيركم يحملكم علي السير ويمكنكم منه في البر والبحر
حتي اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم فيها
عدل عن الخطاب الي الغيبة للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم
ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك
او للريح الطيبة بمعني تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة
الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجي الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص
كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من
غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة
الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاهم من
لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
علي ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول
فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الي ما كانوا عليه بغير
الحق مبطلين فيه وهو احتراز من تخريب المسلمين
ديار الكفرة وتحريق زروعهم وقلع اشجارهم فانها
افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم علي انفسكم فان وباله
عليكم او انه علي امثالكم وابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا
منفعة الحياة الدنيا لا تبقي ويبقي عقابها ورده علي انه

خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره
ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه
حفص على انه مصدر مؤكد اي يتمتعون متاع الحياة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته
والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور
او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم
خبره ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في
سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض خالطه
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس
والانعام من الزرع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها
والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب
والتزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم
وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير
اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت
كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها
ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن
زرعها اي لم تنبت والمضاف محذوف في الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله
وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية
وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد
ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه
اهله

اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف
التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون بها والله يدعوا الى دار السلام
دار السلامة من النقص والافة او دار الله وتخصيص
هذه الاضافة للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة
فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع
بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية
بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على
الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة
الحسنى وزيادة وما يزيد على مثوبته تفضلا لقوله
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
هو اللقا ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها
سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على
مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين
مبتدا والخبر جزاء سيئة بمثلها على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل
او التضعيف وكانما اغشيت واولئك اصحاب النار هم فيها

وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ الخبر محذوف اي فجزاء
سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة البا او تقدير
مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من
عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة
الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها
ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن
كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا
يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب
ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر
ولان الذين احسنوا متناول اصحاب الكبيرة من اهل
القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني
الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا
مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل
اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب
على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا
الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم
انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد
بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن
عبادتكم

عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت
من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلوا من
التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو تتبع عمله
فتقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب
كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر
لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت
من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله
اي جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي
امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب
على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا
يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
الهة قل من يرزقكم من السما والارض اي منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السموات
والارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما
او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من
ادنى شي ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن
يحيي ويميت او من ينشي الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد
تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد
في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه
باشراككم اياه ما لا يشاركه في شي من ذلك فذلكم الله
ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم

ورن فخلو و ربه امور كم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطي
الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فاني تصرفون
عن الحق الي الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما
حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم
مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه علي
الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد
الاستصلاح انهم لا يومنون بدل من الكلمة او
تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من
شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالبدء
في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها
ولذلك امر الرسول صلي الله عليه وسلم بان ينوب
عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا الخلق ثم يعيده
لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فاني تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم
من يهدي الي الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدي كما تعدي بالي لتضمنه معني الانتهاء
تعدي باللام للدلالة علي ان المنتهي غاية الهداية وانها
لم تتوجه نحوه علي سبيل الاتفاق ولذلك عدي به ما اسند
الي الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الي الحق احق ان يتبع
امن لا يهدي الا ان يهدي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدي
من قولهم هدي بنفسه اذا اهتدي او لا يهدي غيره الا ان
يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح
وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي
بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر
والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة
التا

التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وروي ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء
وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان
المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقري الا ان يهدي
علي المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه
وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الي خيالات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب علي الشاهد والخالق
تعالي علي المخلوق بادني مشاركة موهومة والمراد بالاكثر
الجميع او من ينتمي منهم الي تمييز ونظر ولا يرضي بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا
من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه
وفيه دليل علي ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفا
بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد
علي اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القران ان يفتري من دون الله افترا من الخلق ولكن
تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية
المشهود علي صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه
معجزا دونها عيار عليها شاهد علي صحتها ونصبه بانه
خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزل الله
تصديق الذي انزله وقري بالرفع علي تقدير ولكن هو تصديق
وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد
والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث
داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
فانه مفعول في المعني وان يكون استئنافا من رب العالمين
خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بها

ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه
ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه
محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله
في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافترا
فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في
النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا
بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى
فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه
اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم
يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته
ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما
من ذكر البعث والجزا وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم
تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم
معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب
حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران
معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجوا تكذيبه
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه
ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه
لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضالت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا
كذلك كذب الذين من قبلهم انبياهم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب
به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به
من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند
او

او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به
في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت
٦٨ على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
فان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي
عملي ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى
لي جزا عملي ولكم جزا عملكم حقا كان او باطلا انتم
بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون لا تؤاخذون بعملي
ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم
وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم
من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع
الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو
انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان
حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه
ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال
العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة
الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم
الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك ولكن
لا يصدقونك افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر
عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك
يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه

الابعاد عن الحق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض
عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم
ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها
عليهم وفيه دليل علي ان للعبد كسبا فانه ليس مسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بمعني ان ما يحيق بهم يوم القيامة من
العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكن ظلموا انفسهم
باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور
لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي
يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم
والعائد محذوف تقديره قبله او لمصدر محذوف
اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول
ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو
حال اخري مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا
او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة علي
خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من
الضمير في يتعارفون علي ارادة القول وما كانوا
مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في
تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم
الي الردي والعذاب الدايم واما نرينك نبصرنك
بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه
يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا
مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب
نتوفينك

نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد
علي ما يفعلون مجازي عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها
ومقتضاها ولذلك رتبها علي الرجوع بثم او مؤد شهادته
علي افعالهم يوم القيامة ولكل امة من الامم الماضية رسول
يبعث اليهم ليدعوهم الي الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فانجي الرسول واهلك المكذبين وهم لا يظلمون وقيل معناه
لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المومن
وعقاب الكافر لقوله وجي بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم ويقولون متي هذا الوعد استبعاد له واستهزا
به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلي الله عليه
وسلم والمومنين قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا فكيف
املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شا الله ان
املكه او ولكن ما شا الله من ذلك كاين لكل امة اجل
مضروب لهلاكهم اذا جا اجلهم فلا يستاخرون ساعة و
لا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا
تستعجلوا فسيحين وقتهم وينجز وعدكم قل ارايتم ان
اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات
واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب
معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي اي شي من
العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال
وهو متعلق بارايتم لانه بمعني اخبروني والمجرمون
وضع موضع الضمير للدلالة علي انهم لجرمهم ينبغي
ان يفزعوا من مجي الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب

الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاه
ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا
تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم
اذا ما وقع امنتم به الآن بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم
به بعد وقوعه حيث لا ينفعكم الايمان وما يستعجل اعتراض
ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير
الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد
وقوع العذاب الآن امنتم به وعن نافع الآن بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على
قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام
هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو الحق ما تقول
من الوعد وادعاء النبوة تجد ام باطل تهزل به
قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك
وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان
فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع
به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع
النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب
لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران
واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
بواوه في التصديق فيقال ايو ولا يقال اي وحده وما
انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل
نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض
من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من
العذاب من قولهم فداه بمعنى فداه واسروا
الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لما عاينوا
ما لم

ما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
لانه يقال سر الشي لخالصه من حيث انها تخفي ويضن بها
وقيل اظهروها من قولهم سر الشي واسره اذا اظهره وقضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضا
بين الانبيا ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك
او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير
لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم
لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من
الحياة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فيقدر عليهما في العقبى
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات
للحياة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او
النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب
جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال
ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح
والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك
وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة
للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات
الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من
طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران
والبا متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا

فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان
بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الي مصدره اي
فبمجيئهما فليفرحوا والفاء بمعني الشرط كانه قيل ان
فرحوا بشي فبها فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
علي ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند
ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتا علي الاصل
المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا
هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الي الزوال وهو
ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعوا علي معني فبذلك فليفرحوا
فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السما محصلا
باسباب منه وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعني
اخبروني ولكم دل علي ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ علي
التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام
وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم علي ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل
فتقولون ذلك بحكمه ام علي الله تفترون في نسبة
ذلك اليه تعالي ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار
وام منقطعة ومعني الهمزة فيها تقرير لافترائهم علي الله
وما ظن الذين يفترون علي الله الكذب اي شي
ظنهم

ظنهم يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو
منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه
كاين وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل
علي الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما
تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شانه
اذا قصد شانت قصده والضمير وما تتلو منه له لان
تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراة تكون
لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران علي
ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره
قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا يعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر
حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا رقبا مطلعين عليه اذ تفيضون
فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد
عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي من مثقال
ذرة بوازن نملة صغيرة او هبا في الارض ولا في السما
اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما
ليس فيهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال
اهلها والمقصود منه البرهان علي احاطة علمه بها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر
لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا
حمزة ويعقوب بالرفع علي المبتدا والخبر ومن عطف علي
لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف

سو لامتناع الصرف او على محله مع الجار بجعل الاستثنا منقطعا
والمراد به بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اوليا الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من
لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والاية مجمل
فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا
وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم
في الرويا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا
النصب او الرفع على المدح او على وصف الاوليا او على
الابتدا وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير
لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع
بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم وقرئ يحزنك من احزنه وكلاهما
بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل
و

ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال
بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيا منها وهو يقهرهم
وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم
فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملائكة والثقلين واذا كان هولا الذين هم اشرف
الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها
احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا اي شركا
على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركا ويجوز ان يكون
شركا مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه
ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعونه يقينا وانما يتبعون
ظنهم انهم شركا ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى
واي شي يتبع الذين يدعونهم شركا من الملائكة والنبيين
اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فانتم لا تتبعونهم
فيه كقوله اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون
فيما ينسبون الى الله ويحزرون ويقدرون انها شركا
تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا تنبيه على كمال قدرته تعالى وعظيم نعمته
المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة

وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف
المجرد وبين الظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه
سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور
له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات
وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان
بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت
له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم
وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان
العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ
قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد
واضافة الشريك اليه تعالى لا يفلحون لا ينجون من النار
ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا
محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به
رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا
خبره محذوف اي ولهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالموت

بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح
خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان
فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على
الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله فعلى الله توكلت
وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على
الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل
انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم
وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم
وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم والاجماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي
وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا
من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي
بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا
تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري
فما سالتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم
اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على
الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني

به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
لحكمه الا اخالف امره ولا ارجع عنه فكذبوه ظاهرا وعلى تكذيبه
بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه
في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلايف من الهالكين
تكذيبه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ثم بعثنا
ثم ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول
الى قومه فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة المثبتة
لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة
شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به
من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه
قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم
لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك
دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب
العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد
هولاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملايه باياتنا
بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما
مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة
ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا
وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا
من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر
او فايق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى
اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي بالقول
لدلالة

لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا
القول به بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون
الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز
ان يكون معنى اتقولون للحق تعيبونه من قولهم فلان
يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن
المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة
على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل
سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من
تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه
اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك
فيها سمي به لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس
باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ايتوني بكل ساحر وقرا حمزة والكسائي
بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر
لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو
السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتدا
وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدا
محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف
اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره
ما بعده تقديره اي شي اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه

أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة
له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى
في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه إلا أولاد من أولاد قومه
بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وامرأته
آسية وجاريته وزوجته وماشطته على خوف من
فرعون وملائهم أي مع خوف منهم والضمير لفرعون
وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على أن المراد
بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم
أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول
خوف وأفرده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ
كان بسببه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها
وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق أسباط الأنبياء وقال موسى لما رأى تخوف
المؤمنين به يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له
والمشروط بالإسلام حصوله فإنه لا يوجد مع التخليط
ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت فقالوا على
الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين ولذلك أجيبت
دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم

الظالمين أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من
القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي
أن يتوكل أولا لتجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه
أن تبوءا أي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون
فيها أو يرجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما وقومكما
بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي إليها وأقيموا
الصلاة فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا تظهر عليهم الكفرة
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثني الضمير أولا
لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم
بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها
ينبغي أن يفعله كل واحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل
وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون
وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها
وأموالا أنواعا من المال في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة
أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل
اللام للعاقبة وقيل متعلقة بآتيت ويحتمل أن
تكون للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلالة ولأنهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم
أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها

علي ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله
ربنا اطمس علي اموالهم اهلكها والطمس المحق وقري
اطمس بالضم واشدد علي قلوبهم اي واقسها او
اطبع عليها حتي لا تنشرح للايمان فلا يومنوا حتي يروا
العذاب الاليم جواب للدعا او دعا بلفظ النهي وعطف
علي ليضلوا وما بينهما دعا معترض قال قد اجيبت دعوتكما
يعني موسي وهرون لانه كان يومن فاستقيما فاثبتا علي
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان
ما طلبتما كاين ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد
الدعا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الله في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان
بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقا الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعا
ايضا وجاوزنا ببني اسرايل البحر اي جوزناهم حتي
بلغوا الشط حافظين لهم وقري جوزنا وهو من فعل المرادف
لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته
حتي اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقري وعدوا حتي اذا ادركه الغرق
لحقه قال امنت انه اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل
وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسايي انه بالكسر علي
اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لامنت فنكب
عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حيث لا يقبل الان
اتومن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار
وقد

وقد عصيت قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين
الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع
فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك علي نجوة
من الارض ليراك بنوا اسرايل وقرا يعقوب ننجيك من
انجا وقري ننحيك بالحا اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك
في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا
او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من
ذهب يعرف بها وقري بابدانك اي باجزا البدن كلها كقولهم
هوي باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون
لمن خلفك اية لمن ورايك علامة وهم بنوا اسرايل اذ كان في نفوسهم
من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتي كذبوا موسي عليه السلام
حين اخبرهم بغرقه لما عاينوه مطروحا علي ممرهم من الساحل
او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مال امرك ممن شاهد
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم علي ان الانسان علي ما كان عليه
من عظم الشان وكبريا الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقري لمن خلقك اي لخالقك اية كساير الايات فان افراده
اياك بالالقا الي الساحل دليل علي انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة
الشبهة في امرك وذلك دليل علي كمال قدرته تعالي وعلمه
وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل علي المشهور وان كثيرا من الناس
عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا
بني اسرايل مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر
ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما اختلفوا حتي جاءهم العلم
فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قروا التورية وعلموا احكامها او في

امر محمد عليه السلام الامين بعدما علموه صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من
عن المبطل بالانجا والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من
القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن فانه محقق
عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القيناه اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد
بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيه او وصف اهل
الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول
صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك ولذلك
قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته
او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك
على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك
الحق من ربك واضحا لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن
من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من
الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه بقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت
عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في
العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه تعالى ولا ينتقض قضاؤه ولو
جاءتهم كل اية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى
به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها

ايمانها بان يقبله الله ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس
لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه
الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز
ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه
فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم
الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم
الى حين الى اجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى
نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت
السما غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فهابوا وطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى
بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا
الايمان وتضرعوا الى الله عز وجل فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو
دليل على القدرية في انه تعالى لم يشا ايمانهم اجمعين وان
من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيته
الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشا
الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على
المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم

الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل
فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض
عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه
شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما
كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته
والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه
الى الله تعالى ويجعل الرجس العذاب او الخذلان
فانه سببه وقرئ بالزاي وقرا ابو بكر ونجعل
الرجس بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون
دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد
الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في
السموات والارض من عجائب صنعه تعالى
ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان
جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في

في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم
ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام
العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك
او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه
الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك
حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي
محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه حين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل
من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة
ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف
وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني
لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي
يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق
به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد
مع ان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون

عنه ان اصله ان يحكيه بصيغة الامر ولا فرق بينهما الا ان
المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر كيدل معه عليه وجميع
الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت
بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح وفي الصلاة باستقبال القبلة
حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من
المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته
فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر
عن تبعة الدعوات وان يمسسك الله بضر وان يصيبك به
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير
فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد بك ولعله ذكر الارادة
مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه
على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه سبحانه
متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه
ولم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا
لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله والقرآن
ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما
فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير
وا

واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم
وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو
خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر
اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون
سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة
وثلاث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت اياته نظمت
نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت
من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة وليس
فيها منسوخ واحكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول
من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات
الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد
والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال
نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ
ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم
فصلت على البنا للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي
في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر
بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي
ان لا تعبدوا الا الله لئلا تعبدوا الا الله وقيل ان مفسرة
لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما

وصدق

مبتدا للاغرا على التوحيد او الامر للتبري من عبادة
الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه
واتركوها انكا انني لكم منه اي من الله نذير وبشير
بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا
ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا
الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق
لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم
توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان تكون ثم للتفاوت بين
الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى
اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب
الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال
لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا يتغير ويؤت
كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه
جزا فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد التائب
بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا
بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله
مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس
وهو على كل شي قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب
وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم
يستثنونها

عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة
النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ
تثنون بالتا والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة ويثنون
واصله يثنوني من الثني وهو الكلا الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني ويثنين من اثنان
كابياض بالهمز ليستخفوا منه من الله لسرهم فلا يطلع
رسوله والمومنين عليه قيل انها نزلت في طايفة من المشركين
قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه
نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون
بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم
يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى
يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات
الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها غذاوها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا
ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا
على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها
في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او
مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل

ومودعها من المواد والمقادير حين كانت بعد بالقوه
كل حال واحوال من الدواب واحوالها في كتاب مبين
مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان
كونه تعالى عالما بالمعلومات كلها وما بعدها بيان كونه
واحدا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من
الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اي خلقها وما فيها كما مر بيانه في الاعراف او ما في
جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض
لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حايل بينهما الا
لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان
الخلاء وان كان اول حادث بعد العرش من الاجرام هذا العالم
وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك خلق من
خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم
وما تحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى
لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل

بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع
في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره
الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرا حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القايل وقرئ انكم بالفتح
على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ على
اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تنكروا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه
ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس
مصروفا عنهم اي ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم
منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم
خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزئون
اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن
اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث
يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة
منه انه ليؤوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره
وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف
له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته

كصحة بعد سقم وغنا بعد عدم وفي اختلاف الفعلين
نكتة لا تخفي ليقولن ذهب السيات عني اي المصايب
التي سائتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور
علي الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها
وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه علي ان ما يجده
الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادني
شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول
الا الذين صبروا علي الضراء ايمانا بالله واستسلاما
لقضايه وعملوا الصالحات شكرا لالايه سابقها ولاحقها
اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة
والاستثنا من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان
محلا باللام افاد الاستغراق ومن حمله علي الكافر
جعل الاستثنا منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك
بترك تبليغ بعض ما يوحي اليك وهو ما يخالف راي
المشركين مخافة رده واستهزايهم به ولا يلزم
من توقع الشي لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز
ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن
الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وضايق
به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه
عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه
في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه
وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما
انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا
عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك
والله علي كل شي وكيل فتوكل عليه فانه عالم
بحالهم

بحالهم وفاعل بهم جزا اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه
ام منقطعة والهاء لما يوحي قل فاتوا بعشر سور مثله في
البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل
باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان
صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحا مثلي تقدرون
علي مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار
وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون
الله الي المعاونة علي المعارضة ان كنتم صادقين انه
مفتري فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتموهم اليه وجمع
الضمير اما لتعظيم الرسول صلي الله عليه وسلم او لان
المومنين كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه
الدليل وللتنبيه علي ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله
فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله انه
العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور
عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم
من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون علي
الاسلام راسخون مخلصون فيه اذ تحقق عندكم
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين
والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان
لم يستجيبوا لكم الي المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم

من الفسق القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه
الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من
التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام
الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ
لما فيه من معني الطلب والتنبيه علي قيام الموجب وزوال
العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها باحسانه
وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم
في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف اليهم بالياء اي يوف
اليهم الله ويوف علي البنا للمفعول ويوف بالتخفيف
والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه خليل يوم
مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الدنيا
وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك
الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة
وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا
به وجه الله والعمدة في اقتضا ثوابها هو الاخلاص
ويجوز تعليق الظرف بصنعوا علي ان الضمير للدنيا
وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل علي
ما ينبغي وكان كل واحد من الجملتين علة لما قبلها
وقرئ باطلا علي انه مفعول يعملون وما ابهامية
او في معني المصدر كقوله ولا خارجا من في زور
كلام

كلام ويدل علي القول افمن كان علي بينة من ربه برهان
من الله يدله علي الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة
لانكار ان يعقب من هذا شانه هولا المقصرين هممهم
وافكارهم علي الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو
الذي اغني عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان علي بينة
كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مومن
مخلص وقيل المراد به النبي صلي الله عليه وسلم وقيل مومنوا
اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل
شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران و
من قبله من قبل القران كتاب موسي يعني التوراة فانها ايضا
تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل او لسان الرسول صلي الله عليه وسلم
علي ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
في يتلوه اما لمن او للتنبيه باعتبار المعني ومن كتاب موسي
جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا علي الضمير في يتلوه
ويتلو القران شاهد ممن كان علي بينة دالة علي انه حق كقوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القران التوراة
اماما كتابا موتما به في الدين ورحمة علي المنزل عليهم لانه
الوصلة الي الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الي
من كان علي بينة يومنون به بالقران ومن يكفر به
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم علي رسول الله
صلي عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا
تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية
بالضم وهو الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس

لا يعرفون لغفلة تظهرهم واختلاف فكرهم ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه
ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا
وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين
او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
تهويل عظيم ما يحيق بهم لظلمهم بالكذب على الله
الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا
ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد
كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين
في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب
ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم
يضاعف لهم العذاب استئناف وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله لتعاميهم عن الحق وبغضهم
له عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الالهة بقوله
وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض

اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة
الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الالهة وشفاعتها (و خسروا بما بدلوا وضاع عنهم
ما حصلوا ولم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم
انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا
منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى
ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض
المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمومن كالاعمى والاصم والسميع
والبصير يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى
لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصاممه عن استماع
كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه
المومن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون
كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه
الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع
بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم والآيب وهذا من باب
اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان
مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب
الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
انى لكم بانى لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة
بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل
من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة

متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم
اليم مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن
يوصف به العذاب وزمانه علي طريقة جد جده ونهاره
صايم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك
الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب
الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساونا
جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاسود والاجدل
او جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير تعمق
من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من
الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف علي حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي
والعامل اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم
فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ
بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم
علينا من فضل يوهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم
في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب علي الغايبين
قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت علي بينة من
ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده
بايتاء البينة والنبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم
تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي
الرحمة او لان خفاها يوجب خفا النبوة او علي تقدير
فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة
منهما وقرا حمزة والكساي وحفص فعميت
اي اخفيت وقري فعماها علي ان الفعل لله انلزمكموها
انكرهكم علي الاهتدا بها وانتم لها كارهون
لا تختارونها

لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس
احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل
والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه علي التبليغ وهو وان لم يذكر
فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا علي الله فانه المامول
منه وما انا بطارد الذين امنوا جوابا لهم حين سالوا طردهم
انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه
ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون
بلقا ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم وتوقيف
الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزاين الله
خزاين رزقه او فضله حتي جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب
عطف علي عندي خزاين الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب
حتي تكذبوني استبعادا او حتي اعلم ان هولا اتبعوني
بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلي الثاني
يجوز عطفه علي اقول ولا اقول اني ملك حتي تقولوا ما انت
الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في
شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يوتيهم الله خيرا
فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله
اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيا من ذلك
والازدرا افتعال من زراه اذا عابه قلبت تاوه
دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الي الاعين للمبالغة
والتنبيه علي انهم استرذلوهم بادي الراي من غير
روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون
تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او فاتيت

بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتوثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شا عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل على جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم وان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وكذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام باطل بلاطايل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغوا وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم وهلك عوى هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرى اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافترا الي واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذا واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشي ويراعي عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ووحينا الينا كيف نصنعها ولا

116

ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الما اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وفار التنور نبع الما منه وارتفع كالقدر يفور والتنور تنور الخبز ابتدا منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين ورده من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساوهم الا من سبق عليه القول انه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمومنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساوهم واثنان

ذكر وانثى على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين

وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة
ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة
بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس
وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل
ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله
مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا
فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها
وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او للمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقوله اتيتك خفوق
النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله
على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراؤها
بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته والخبر محذوف
وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة
من الواو والهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص
مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسى
وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل
صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم
ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع
من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها
وارتفاعها

117

وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور
انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل
ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه
بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل
كان لغير رشده كقوله فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة
ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل
فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله
عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
اليا ليدل على يا الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير
فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة
وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ها هنا اقتصارا
على الفتح من الالف المبدلة من يا الاضافة واختلف الرواة
عنه في ساير المواضع وقد ادغم اليا في الميم ابو عمرو والكسائي
وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال
قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء يغرقني قال لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان
من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم
معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين
وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في
عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه
الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه
والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نودي بما ينادى
به اولو العلم وامر بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته

والانقياد لهما لما يشاء تكوينه فيها بالامر المطاع الذي يامر
المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية
من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض
الما نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجا المومنين واستوت واستقرت السفينة علي الجودي
جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بامل روي انه ركب
السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر محرم فصام ذلك
اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم
يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده
ثم استعير للهلاك وخص بدعا السوء والاية في غاية
الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة علي
كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار
علي البنا للمفعول للدلالة علي تعظيم الفاعل وانه متعين
في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الي
غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها الا
الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداه
بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه
النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له
لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل الغرق
وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك
اكثر حكمة من ذوي الحكم علي ان الحاكم من الحكمة كالدارع
من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية
بين المومنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل
غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله
انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
كقول

كقول الخنسا بصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا
بالمناقضة بين وصفيهما وانتفا ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله
عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح
فلا تسالني ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو ام ليس
كذلك وانما سمي نداه سوالا لتضمنه ذكر الموعد بنجاة
اهله استنجازه في شان ولده او استفسارا لمانع الانجاز
في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين لان استثنا من سبق عليه القول
من اهله قد دله علي الحال واغناه عن السوال لكن
شغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرا ابن كثير
بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر
غير انهما كسرا النون على ان اصله تسالنني فحذف نون
الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت
اكتفا بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل
قال رب اني اعوذ بك ان اسالك فيما يستقبل ما ليس لي
به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي
ما فرط مني من السوال وترحمني بالتوبة والتفضل علي (مني)
اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا
انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما
عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في
نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقرئ اهبط بالضم
وبركة علي التوحيد وهي الخير النامي وعلي امم ممن ينشعب
معك وعلي امم هم الذين معه نشوا مما تحت بهم او

الامم منهم او علي امم ناشئة ممن معك والمراد بهم
المومنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم
في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم
الكفار من ذريه من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط
وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الي قصة نوح
ومحلها الرفع بالابتدا وخبرها من انبا الغيب اي بعضها نوحيها
اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة او حال من الانبا
والبعض الخبر ومن انبا متعلق به او حال من الها ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة
عندك وعند قومك من قبل ايحاينا اليك او حال من الها
في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك
بها وفي ذكرهم تنبيه علي انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم
وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر
علي مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح
ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين
عن الشرك والمعاصي والي عاد اخاهم هودا عطف
علي قوله نوحا الي قومه وهودا عطف بيان قال
يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما لكم من اله غيره وقرئ
بالجر حملا علي المجرور وحده ان انتم الا مفترون
علي الله باتخاذ الاوثان شركا وجعلها شفعا يا قوم
لا اسالكم عليه اجرا ~~ان انتم الا مفترون~~ اجري الا
علي الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة
للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت
مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من
الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اطلبوا

اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا
التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة
فيما عنده يرسل السما عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم
قوة الي قوتكم وتضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله
عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم
هود عليه السلام علي الايمان والتوبة بكثرة الامطار
وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم
اليه مجرمين مصرين علي اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة بحجة تدل علي صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم
اعتدادهم بما جاهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا
عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في
تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناطا له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من
عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسو بجنون لسبك
اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات
والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثنا مفرغ قال اني
اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقى
بان اشهد الله علي براته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم
تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم ان يشهدوا عليه استهانة
بهم وان يجتمعوا علي الكيد في اهلاكه من غير انظار
حتي اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخرهم

وهم الاقويا والاشدا ان يضروه ولم يبق لهم شبهة ان الهتهم
التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما
منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير
من الجبابرة الفتاك العطاش الي اراقة دمه بهذا الكلام
ليس الا لثقته وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمة اياه
ولذلك عقبه بقوله اني توكلت علي الله ربي وربكم تقريرا له
والمعني انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني
متوكل علي الله واثق بكلامه وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي
ما لم يرده ولا تقدرون علي ما لم يقدره ثم برهن
عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها الا
هو اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها
علي ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك
ان ربي علي صراط مستقيم اي انه علي الحق والعدل لا يضيع
عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت علي من الابلاغ والزام
الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد
لهم بان الله يهلكهم ويستخلف اخرين في ديارهم واموالهم
او عطف علي الجواب بالفا ويؤيده القراءة بالجزم علي الموضع
وكانه قيل فان تولوا يعذبني ربي ويستخلف ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط
النون منه ان ربي علي كل شي حفيظ رقيب ولا يخفي
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظا مستولي
عليه

فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم

عليه فلا يمكن ان يضره شي ولما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بالعذاب
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم
من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت
تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاهم والمراد
به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين
كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ
وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة
الي قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا
رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصي رسولا فكانما عصي
الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد
يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغي
والمعني عصوا من دعاهم الي الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الي الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم
في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه وكفروا نعمه
او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك والمراد
به الدلالة علي انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم
وحثا علي الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد
وفايدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايما
الي ان استحقاقهم للبعد بما جري بينهم وبين
هود والي ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم
منها لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق

الله نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها
واستبقاكم من العمر او قدركم على عمارتها وامركم بها
وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم بان
تسكنوا فيها مدة اعماركم ثم تتركونها لغيركم
فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب [illegible] قريب
الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان
تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا
في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا
عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال
الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري
عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او
ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني
منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من
عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك
به فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير
ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه
او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصب اية على
الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب
ماها

ماها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل
لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة
ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم تعيشوا في منازلكم
او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكوا ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال
له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب
على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم وفضيحتهم
من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم في قوله
يوم القيامة وقرا نافع والكسائي هنا وفي المعارج البناء من
من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف
المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل
شي والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة
الاعراف الا ان ثمود كفروا ربهم وقرا حمزة وحفص
ان ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من
غير تنوين ونونه الكسائي بخفض الدال في قوله الا
بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة
الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
عليكم سلام او جوابي سلام او وعليكم سلام
قال سلام اي امركم

ند معه الجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم
وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جا بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجي به
او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي
بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا
عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راي ايديهم لا تصل اليه
لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر
ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها فانكر واستنكر بمعنى
والايجاس الادراك والاضمار قالوا له لما احسوا منه
اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الي قوم لوط انا ملايكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته
قايمة وراء الستر تسمع محاورتهم او علي روسهم للخدمة
فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او
باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني
اعلم ان العذاب ينزل بهولاء القوم وقيل فضحكت فحاضت
قال
وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة   ولم يعد حقا ثديها ان تحلبا
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحا
فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب نصبه ابن
عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام
وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه
معطوف علي موضع باسحاق او علي لفظ اسحاق وفتحته
للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع علي انه مبتدا وخبره
الظرف اي يعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد
الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلي هذا تكون
اضافته

اضافته الي اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل
من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان
يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في
الحكاية بعد ان ولد فسميا به وتوجيه البشارة اليها
للدلالة علي ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت
مغتمة بحرمتها علي الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله
في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء علي الاصل
االد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين وهذا
بعلي زوجي واصله القايم بالامر شيخا ابن مائة
او مائة وعشرين سنة ونصب علي الحال والعامل فيها
معني اسم الاشارة وقرئ بالرفع علي انه خبر محذوف
اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان
هذا لشي عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين
عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة
ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس
ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عن من
نشا وشاب في ملاحظة الايات واهل البيت نصب
علي المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر
لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به
الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم
الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته

البشرى يجادلنا في قوم لوط يجادل
رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا
وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال
او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو
او دليل جوابه المحذوف مثل اجترى على خطابنا او
شرع في جدالنا او متعلق به فاقيم مقامه مثل اخذ او
اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف
على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته
يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره
بمقتضى قضائه الازلي بهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم
عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا
في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان
يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت
والملك والباقون باخلاص كسرة السين وضاق
بهم

بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة
الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه
وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كأنهم
يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن
قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا
يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي
فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي
فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار
فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه
حتى ان ذلك اهون منه واظهارا لشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان
كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي
حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم
هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة
اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب
على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل
فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك
الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف

الرجل الحداوه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الي الحق
ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو
ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي علي دفعكم او اوي الي ركن
شديد الي قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في
شدته وعن النبي صلي الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا
كان ياوي الي ركن شديد وقري او اوي بالنصب باضمار
ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا جواب لو محذوف
تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من ورا الباب فتسوروا الجدار فلما رات
الملايكة ما علي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن
يصلوا اليك لن يصلوا الي اضرارك باضرارنا فهون عليك
ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون
النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بقطع من
الليل وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جا في القران
من السري بقطع من الليل بطايفة منه ولا يلتفت منكم
احد ولا يتخلف او ولا ينظر الي ورايه والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعني للوط الا امراتك استثنا من قوله
فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح
علي تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر
الي الورا في الذهاب ناقض ذلك قراة ابن كثير
وابي

١٢٤
وابي عمرو بالرفع علي البدل من احد ولا يجوز حمل القراتين
علي الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت
صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها
فان القواطع لا يصح حملها علي المعاني المتناقضة والاولي
جعل الاستثنا في القراتين عن قوله ولا يلتفت مثله
في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القرا علي
غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها
عنه استصلاحا ولذلك علله علي طريق الاستيناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثنا منقطعا
علي قراة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر
بالاسرا اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطايه
العذاب فلما جا امرنا عذابنا او امرنا به ويويده الاصل
وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها
سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملايكة
الماموروث به فاسنده الي نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت مداينهم ورفعها الي السما حتي سمع اهل السما نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها
اي علي المدن او علي شذاذها حجارة من سجيل من
طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنككل
فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعني من مثل الشي المرسل او مثل العطية في الادرار
او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به

وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه
نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال
تتتابع بعضها علي بعض كقطار الامطار او نضد بعضه
علي بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز به عن حجارة
الارض او باسم من يرمي به عند ربك في خزائنه
وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان
يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام
انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الي ساعة
وقيل الضمير للقري اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في اسفارهم الي الشام وتذكير البعيد علي تاويل
الحجر او المكان والي مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد
مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين
وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم
بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما
اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة
التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس
او نعمة حقها ان تتفضلوا علي الناس شكرا عليها
لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني
اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره
والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال
ويوصف

ويوصف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله
عليه ويا قوم اوفوا الكيل والميزان صرح بالامر بالايفا
بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها علي انه لا يكفيهم
الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفا
ولو بزيادة لا يتاتي بدونها بالقسط بالعدل والتسوية
من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفا وهو مندوب
غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون
في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع
الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات
والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال
اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه
ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله
ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون
بالتطفيف ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين
لي في قولي وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقري تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن
المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبايح او احفظ عليكم
اعمالكم واجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت

حين انزرت اولست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا
سوا صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد
اباونا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزا
به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعوا اليه داع عقلي
وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
وكان كثير الصلوة ولذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزه
والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تامرك
بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يامر بفعل غيره
او ان نفعل في اموالنا ما نشا عطف على ما اي وان نترك
فعلنا ما نشا في اموالنا وقرى بالتا فيهما على ان العطف
على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر
بالايفا وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا
وصفه بضد ذلك وعللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه
موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادره الى امثال ذلك
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى
ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا
اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع
للسعادات الجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه والروحانية
في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من
تغييره المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه
لله

لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم
عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا
ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول
عنه وخالفته عنه الى كذا اذا كان الامر بالعكس
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم
بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح
فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه
الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على
ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد
حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها
حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان
امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما
مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من
الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح
ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما
توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته
عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شي وما عداه
عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب
العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو
ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه
الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذر

من الله والاستعانة به تعالى في مجامع امره والاقبال عليه
بشراشره وحسم اطماع الكفار به واظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى
الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي
معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من
الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من
الرجفة وان بصلتها ثاني مفعول جرم فانه يتعدى
الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم
وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح وان
كان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ
مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب
منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا وان لم يعتبروا
بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد
لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد
ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على
زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم
توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة
للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعله البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة
بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه
ما نفقه كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة
البخس

البخس وما ذكرت دليلا عليها وذلك لقصور عقلهم وعدم نخ
تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم
يلقوا اليه اذهانهم ~~لشدة نفرتهم~~ عنه وانا لنراك فينا ضعيفا نسخة
لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز ع
لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده
التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم
فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك
لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فتمنعنا عزتك من الرجم وهذا ديدن السفيه
المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضمير
حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة فان
المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه
كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة
برسوله افلا تتقون على الله وتتقون على رهطي وهو يحتمل
الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى
الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون
محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم عليها ويا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون
ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب

لذلك وجيء فيها هاهنا لانها جواب لسائل قال فماذا يكون
بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على
من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف
تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه
ومن هو صادق لينصرف اليهم والثاني اليه لكنه لما
كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم
وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر
فعيل بمعنى الراقب كالقديم او المراقب كالعشير والمرتقب
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة
منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر
وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط
فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب و
وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه
السلام فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين
واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم
يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم
لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت
من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص
معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر
لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى
باياتنا

باياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة
او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحدا اي
ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على
نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون
وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره في الكفر بموسى
او فاتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة
الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال
والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى
مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو
غي وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار
كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم
بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي
مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى
اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي
بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد
وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل
على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا
عاقبته لا يكون في امره رشد او تفسير له على ان
المراد بالرشد ما يكون مامون العاقبة حميدها
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي

اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود
بئس العون المعان او بئس العطا المعطي واصل الرفد
ما يضاف الي غيره ليعده والمخصوص بالذم محذوف
اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبا
من انبا القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك
منها قايم من تلك القرى باق كالزرع القايم وحصيد
ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة
وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو
ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم
الهتهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم النقم
التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين
جاهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك هـ
او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ
اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب
على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على
المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما
اقيمت مقامه اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم
وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه
اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد
والتحذير

والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه
الله تعالى من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة
يعتبر بها لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة ٢٢٦
او ينزجر به عن موجبه لعلمه بانها من اله
مختار يعذب من يشا ويرحم من يشا فان من انكر الاخرة
واحال فنا هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك
الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب
المهلكين بها ذلك اشارة الي يوم القيامة وعذاب الاخرة
دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع في اليوم وانه من شانه لا محالة
وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجرا الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل
من نوحي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل
اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم
وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نوخره اي اليوم الا لاجل
معدود الا لانتها مدة معدودة متناهية على حذف المضاف
وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود
يوم ياتي اي الجزا او اليوم لقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى
حين او الله تعالى كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه

وقرا ابن عامر وعاصم وحمزه باسقاط اليا اجتزا عنها
بالكسره لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من
جواب او شفاعه وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار
اذكر او بالانتها المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله تعالى
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون في
موقف اخر او الماذون فيه هي الجوابات الحقه والممنوع عنه
هي الاعذار الباطله فمنهم شقي وجب له النار بمقتضى الوعيد
وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف
وان لم يذكروا لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس
او للناس واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير
وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده
واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه
حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرى شقوا
بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط
دوامهم في النار بدوامها فان النصوص داله على
دوام تابيدهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التابيد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل
التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات
والارض زوال عذابهم ولا من دوامها دوامه
الا

الامن قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد
عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات
الاخرة وارضها يدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل
وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر
الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه انما يعرفه بما
يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه
الا ما شا ربك استثنا من الخلود في النار لان بعضهم
وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة
الاستثنا لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زوال الحكم
عن البعض وهم المراد بالاستثنا الثاني فانهم مفارقون
الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض
باعتبار الابتدا كما ينتقض باعتبار الانتها
وهولاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
لا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما
صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية
عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال
حقيقي او مانع من الجمع وهاهنا المراد ان اهل الموقف
لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين
او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره

من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو
اعلا من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقايه او من اصل الحكم والمستثنى زمان
توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان
يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في
الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم
وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق
وقيل الا هاهنا بمعنى سوى كقولك لي عليك الف الا الالفان
القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي
لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه
على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله
فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي
وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى
اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء
او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك مما انزل عليك من مال
الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها
ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه
في انه

في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم
واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة
ابائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان
وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان
التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى
كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون
عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص
حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء
في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار
الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل
ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك
لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة وان كلا
وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين
والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم
ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية
للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما

فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت
اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما
يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم
كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة
واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي
شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين
والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام
بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط يفوت الحقوق
ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي ومن تاب من
الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن
في استقم وان لم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو
مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية
دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف
وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير
كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم
اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى
ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم

١٢٣

بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه
والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن
الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط
وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه
وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا
على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من
اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم
لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان
يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما
بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم
انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي
النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه
مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة
وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات
من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة

الزلف المغرب والعشا وقرئ زلف بضمتين وضمة
وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفي بمعنى
زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة
لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا
اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت
من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله
فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين
عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون
كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر
احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا
كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية
من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان
الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم
لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح
اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض
واتبع

واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا
مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب
لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم
للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع
عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف
على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وقرئ واتبع اي واتبعوا
جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر
به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم
لا يضمون الى شركهم فسادا او تباغيا وذلك لفرط
رحمته ومسامحته تعالى في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى
مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر
غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما
اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم
على الحق وبعضهم على الباطل لا يكاد يجد اثنين
يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من
فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة
فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك

وعيده اي قوله للملايكة لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما
اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبا نقص عليك
من انبا الرسل نخبرك به ما نثبت به فوادك بيان لكلا
او بدل منه وفايدته التنبيه علي المقصود من الاقتصا
ص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه علي
ادا الرسالة واحتمال اذي الكفار او مفعول وكلا منصوب
علي المصدر يعني كل نوع من انواع الاقتصاص نقص
عليك ما نثبت به فوادك من انبا الرسل وجاك في هذه
السورة او الانبا المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكري للمومنين اشارة الي فوايد العامة
وقل للذين لا يومنون اعملوا علي مكانتكم علي حالكم انا
عاملون علي حالنا وانتظروا بنا الدوايرانا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما نزل علي امثالكم ولله غيب السموا
ت والارض خاصة لا يخفي عليه خافية مما فيهما واليه
يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه
وقرا نافع وحفص يرجع فاعبده وتوكل عليه
فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة علي التوكل
تنبيه علي انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما
تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرا نافع
وحفص وابن عامر بالتا هنا وفي اخر النمل عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب
به

١٣٤ وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسي وكان
يوم القيامة من السعدا ان شا الله تعالي سورة
يوسف عليه السلام مكية وايها مايه واحدي عشرة ايه
بسم الله الرحمن الرحيم الر
تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الي ايات السورة
وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة الظاهر
امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها
انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماهم
قالوا لكبرا المشركين سلوا محمدا لما انتقل ال يعقوب
من الشام الي مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه
اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل
اسم الجنس يقع علي الكل والبعض وصار علما بالغلبة
ونصبه علي الحال وهو في نفسه اما توطية للحال التي
هي عربيا او حال لانه مصدر بمعني مفعول وعربيا صفة
له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي ذلك
خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي
انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه
او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك
ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحا
نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص
لانه اقتص علي ابدع الاساليب او احسن ما نقص
لاشتماله علي العجايب والحكم والايات والعبر فعل

يعني مفعول بما نقص والسلب واشتقاقه من قص
اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك بايحاينا اليك هذا القران
يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص علي
ان احسن نصب علي المصدر وان كنت من قبله
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم
تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه يوحي وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل
من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او
منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا
لصرف وقري بفتح السين وكسرها علي التلعب به
لا علي انه مضارع بني للمفعول او للفاعل من اسف لان
المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه السلام الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي عوض عن اليا
تا التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض
حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران
لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي
الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين
العوض والمعوض وقري بالضم اجرا لها مجرى
الاسما المونثة بالتا من غير اعتبار التعويض وانما لم
تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرويا
لامنا

لا من الروية لقوله لا تقصص روياك وقوله هذا
تاويل روياي احدى عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جا الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي
راهن يوسف فسكت عليه السلام فنزل جبريل عليه
السلام فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال
نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماوها رايتهم
لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها
فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلا لوصفها بصفاتهم
قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه
كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرا حفص هنا وفي الصافات
بفتح اليا لا تقصص روياك علي اخوتك فيكيدوا لك كيدا
فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام
من روياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه علي اخوته
فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرويا كالروية غير انها
مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التانيث
كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الي الحس المشترك والصادقة
منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من
التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور
فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة
هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه

فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان
كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت
الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى
فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم
وحوا فلا يالوا جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى
يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك ربك لمثل هذه
الرؤيا الدالة على كمال شرف وعز وكمال نفس يجتبيك
ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتبا من جبيت الشي
اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه
كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا
لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب
الله وسنن الانبيا وكلمات الحكما وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة
وبان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد
به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب
او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم
بالخلة والانجا من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك اي من قبل هذا
الوقت ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على
ما ينبغي

ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم
ايات دلايل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرا
ابن كثير اية للسايلين لمن سال عن قصتهم والمراد
باخوته علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون
ولاوي ودبالون ويشجر ودينه من بنت خالته
ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل
فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن
الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد واشر
من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة
من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من
لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جايز في المضاف
ونحن عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من
صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا
لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل
في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل
وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف
له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى
حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي
بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال
لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به

الا تخرجوا او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصفو
لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم
ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا مجزوم بالعطف على
يخل او منصوب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ
من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين لله عما
جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر
تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده
بخلو وجه ابيكم قال قايل منهم يعني يهودا وكان احسنهم
فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم
والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين
الناظر وقرا نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه
لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه
ياخذه بعض السيارة الذين يسيرون في الارض ان
كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق
بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم
تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما
تنسم من حسدهم والمشهور لا تامنا بالادغام باشمام
وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام

١٢٦

١٢٧

لانهما من كلمتين وتنونا بكسر النون ارسله معنا غدا الى
الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي
الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع
بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء
فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون
على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته
ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة
مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب
لان الارض كانت مذئبة وقيل راى في المنام ان الذئب
شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن
كثير ونافع في رواية وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر
وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من
كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب
او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة
اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا مغبونون
او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن
للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا
على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن
او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب
وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد
روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما

عاهدوني علي ان لا تقتلوه فاتوا به الي البير فدلوه
فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه
بالدم ويحتالوا به علي ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي
قميصي اتواري به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا
والشمس والقمر يكسوك يلبسوك ويونسوك فلما
بلغ نصفها القوه وكان فيها ما فسقط ثم اوي الي
صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاه جبريل بالوحي
كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة
وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الي
يحيي وعيسي عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم
عليه السلام حين القي في النار جرده عن ثيابه فجاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الي
اسحاق واسحاق الي يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف
فاخرجه جبريل عليه السلام والبسه اياه لتنبينهم
بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد
المغير للحلي والهيات وذلك اشارة الي ما قال لهم بمصر
حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
بشره بما يول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل
وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انباه بالوحي
وهم لا يشعرون ذلك وجاوا اباهم عشاء اخر النهار
وقري عشيا وهو تصغير عشي وعشا بالضم والقصر
ما لهم جمع اعشي اي عشوا من البكا يبكون متباكين روي
انه لما سمع بكاهم فزع وقال يا بني واين يوسف قالوا
يا ابانا

يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو والرمي وقد
يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمومن لنا بمصدق ١٢٨
لنا ولو كنا صادقين لسو ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف
وجاوا علي قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعني مكذوب
فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقري
بالنصب علي الحال من الواو اي جاوا كاذبين وكدب
بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض
الخارج علي اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
علي القميص وعلي قميصه في موضع النصب علي الظرف
اي فوق قميصه او علي الحال من الدم ان جوز تقدمها
علي المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال
قميصه واخذه والقاه علي وجهه وبكي حتي خضب
وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذيبا احلم
من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل
سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم
امرا عظيما من السول وهو الاسترخا فصبر جميل اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوي فيه اي الي الخلق والله
المستعان علي ما تصفون علي احتمال ما تصفونه من
هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبايهم
ان صح وجات سيارة رفقة يسيرون من مدين الي
مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث
من القايه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد لهم

الماء ويستقي لهم وكان مالك بن دعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها
في الجب فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشراي هذا غلام
نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا
اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ
غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة
والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشريّ بالادغام
وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه
اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره
وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل
الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان يأتيه كل يوم
بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا
الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي
اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه
ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم
وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه
من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه
دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا
يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل
كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا
فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير
في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة
للرفقة

وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه
والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه
وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه
متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى ٢٦
الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق
الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر قطفير او اطفير وكان
الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف
ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد
باحوال الاجداد روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان
وكان ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف
فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا
وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندك كريما اي
حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان

عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل
افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي
قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر
رضي الله عنهما وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما
مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما
انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل
ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم
العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى
واحكامه فينفذها ويعبر المنامات المنبهة على الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل
لنفسه والله غالب على امره لا يرده شي ولا ينازعه فيما يشا
او على امر يوسف اراد به اخوته شيا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا
لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم
اتيناه حكما حكمة وهو العلم المويد بالعمل او حكما بين الناس وعلما
يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى
انما اتاه ذلك جزا على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره
وراودته

١٤٠ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه
وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شي ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت
سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت
هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين
اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي
في سقيا لك وقرا ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها
له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء
كعيط وهي لغة فيه وقرا هشام كذلك الا انه
يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هئت كجئت
من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي الشان ربي
احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ
قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله
وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان
عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون
الحسن بالسي وقيل الزناة فان الزنا ظلم على
الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشي قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشي
امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل

نحت التكليف ~~المتحقق~~ بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل
من الله من يكف نفسه من الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة
الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان
ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة
المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم
ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل
عليه وقد ذكر جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على
اناملة وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب
في الانبيا وتعمل عمل السفها كذلك اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السو
خيانة السيد والفحشا الزنا انه من عبادنا المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران اذا كان في اوله
الالف واللام اي الذين ~~اخلصهم~~ الله لطاعته اخلصوا
دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها
ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه
من دبر اجتذبته من وراءه فانقد قميصه والقد الشق
طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها لدى الباب
وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزا من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت
منه

منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف
واغرائه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي
شي جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني
بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن
والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من
اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة
صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه
قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل
على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او
انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه
يدل على انها تبعته فاخذت ~~قميصه~~ ثوبه فقدته والشرطية
محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من
القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين
ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان
معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني

السابق وقدي من قبل ومن دبر بالضم لانها قطعا عن
الاضافة كقبل وبعد وبالفتح لانها جعلا علمين للجهتين
فمعناه الصرف وبسكون العين فلما راي قميصه قد من
دبر قال انه اي ان قولك ما جزا من اراد باهلك سوءا او ان
السوء وان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب
لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان
كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في
النفس لانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس
به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه
وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره
واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين
من القوم المذنبين من خطا اذا اذنب متعمدا والتذكير
للتغليب وقال نسوة وهي اسم جمع امراة وتانيثه
بهن الا اعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون
لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في
مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب و
والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة
شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه
حتي وصل الي فؤادها حبا ونصبه علي التمييز لصرفه
الفعل عنه وقري شعفها من شعف البعير اذا هنأه
بالقطران واحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن
الرشد

عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي
الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن
تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس اعتدت لهن متكا ما يتكين عليه من
الوسائد واتت كل واحدة منهن سكينا حتي يتكين
والسكاكين بايديهن واذا خرج عليهن
يبهتن ويشتغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن
علي ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب
يوسف من مكرها اذا خرج وحده علي اربعين نسوة
في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكيون للطعام والشراب ترفا ولذلك
نهي عنه قال جميل وظللنا بنعمة واتكانا وشربنا
الحلال من قلله وقيل المتكا طعام يحز حزا
كان القاطع يتكي عليه بالسكين وقري متكا بحذف
الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو
الاترج او ما يقطع من متك الشي اذا بتكه ومتكا من
تكي يتكي اذا اتكا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه
وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يري تلالؤ وجهه علي الجدران وقيل
اكبرن بمعني حضن من اكبرت المراة اذا حاضت

لانها لا تدخل الحرف بالحرف والخافض للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حصل له من شدة العشق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد التنزيه في باب الاستثنا فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان به

فقيل

فقيل ان يتصورنه حق تصوره ولو تصورنه بما عاينتن لعذرتني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما امره ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلا وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني كيدهن وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي في مقتضى شهوتي والصبوة الميل

الي الهوي ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل
وقري اصب من الصبابه وهي الشوق واكن من
من الجاهلين من السفها بارتكاب ما يدعونني اليه فان
الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون
فانهم والجهال سوا فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاه
الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتي وطن نفسه علي مشقة السجن
واثرها علي اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع
لدعا الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز من
بعد ما راوا الشواهد الدالة علي براة يوسف كشهادة
الصبي وقد القميص وقطع النسا ايديهن واستعصامه
عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتي حين
وذلك لانها خدعت زوجها وحملته علي سجنه زمانا
حتي تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه
المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقري بالتا
علي ان بعضهم خاطب به العزيز علي التعظيم
او العزيز ومن يليه وعتي بلغة هذيل ودخل
معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق
انه ادخل حينئذ اخران من عبيد الملك شرابيه
وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما
يعني الشرابي اني اراني اري في المنام وهي
حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه
با

باعتبار ما يعول اليه وقال الاخر يعني الخباز
اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش
منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين
يحسنون تاويل الرويا او من العالمين وانما قالا ذلك
لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رويا هم او
من المحسنين الي اهل السجن فاحسن الينا بتاويل
ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل
الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الي التوحيد
ويرشدهما الي الطريق القويم قبل ان يسعف الي ما سالا
منه كما هو طريقة الانبيا والنازلين منازلهم من العلما
في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من
الاخبار بالغيب ليدلهما علي صدقه في الدعوة والتعبير
قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت
ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل
لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اوليك واتبعت
ملة اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب او كلام مبتدا
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوي
رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك
جوز للخامل ان يصف نفسه حتي يعرف

فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله من شي اي شي كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ارباب متفرقون شتى متعدده متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان الا اشيا باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجه تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسما المجرده والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهيه عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العباده الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم

القويم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية وان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يوول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يوول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله عز وجل حتى استعان بغيره ويويده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل

اذ كرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس
والاستعانة بالعباد في كشف الشدايد وان كانت
محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبيا عليهم
السلام فلبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين
الثلاث الي التسع من البضع وهو القطع وقال
الملك اني اري سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دني فرجه راي الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسة قد ادركت
فالتوت اليابسات علي الخضر حتي غلبن عليها
وانما استغني عن بيان حالها بما قص من حال
البقرات واجري السمان علي المميز دون المميز
لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر
التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس
وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل علي سمان
لانه نقيضه يا ايها الملا افتوني في رؤياي عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الي المعاني
النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة
وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا
واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن
مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن يعبرون
معني

معني فعل يعدي باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث
احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع
من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم
فلان يركب الخيل او لتضمنه اشيا مختلفة وما نحن
بتاويل الاحلام بعالمين يريد بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات
الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله
وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان
مجتمعة اي مدة طويلة وقري بعد امة بكسر الهمزة
وهي النعمة اي بعد ما انعم الله عليه بالنجاة وامه اي
نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض
ومقول القول انا انبيكم بتاويله فارسلون اي الي
من عنده علمه او الي السجن يوسف ايها الصديق
اي فارسل الي يوسف فجا وقال يا يوسف وانما وصفه
بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله
وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي
ارجع الي الناس اعود الي الملك ومن عنده او

اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم
يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت
الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما
اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون
سبع سنين دابا اي علي عادتكم المستمرة وانتصابه
علي الحال بمعني دائبين او المصدر باضمار فعله
اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص
دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل
وقيل تزرعون امر اخرجه في صيغة الخبر مبالغة
لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله
السوس وهو علي الاول نصيحة خارجة عن العبارة
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد
ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن
ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن علي المجاز تطبيقا
بين المعبر به والمعبر الا قليلا مما تحصنون تحرزون
لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط
من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب
والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع
وقرا حمزة والكسائي بالتاء علي تغليب المستفتي
وقرئ علي بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل
ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث
بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي
بنزع

بنزع الخافض او بتضمينه معني المطر وهذه بشارة
بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين
المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي
او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية
علي ان يوسع علي عباده بعد ما ضيق عليهم وقال
الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه
الرسول ليخرجه قال ارجع الي ربك فاساله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تاني في الخروج وقدم
سوال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل الي
تقبيح امره وفيه دليل علي انه ينبغي ان يجتهد في
نفي التهم ويتقي مواقفها وعن النبي صلي الله عليه
وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم يقل فاساله
ان يفتش عن حالهن تهييجا له علي البحث وتحقيق الحال
وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن
عليم حين قلن له اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن
والاستشهاد بعلم الله عليه وعلي انه بريء مما قذف
به والوعيد لهن علي كيدهن قال ما خطبكن قال
الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب

وفيه ما يجبه اذ راودنه يوسف عن نفسه قلن
حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته تعالى على
خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب
قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه للبناخ قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم
صمما او ظهر من حص شعره اذا استاصله
بحيث ظهر بشرة راسه وقرئ على البنا للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله
هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما
عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت
ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو
حال من الفاعل او من المفعول اي لم اخنه
وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان
الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي
الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي
لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية
نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه
من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال
اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت

هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث
انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل
القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم
ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية
قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه
وقرا قالون والبزي بالسو على قلب الهمزة واوا ثم
الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم
من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا
لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به وكلمه وشاهد منه
الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن
اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على
الملك قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين
لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال
احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير
وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي

فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذرا وولد
له منها افرايم وميشا قال اجعلني علي خزاين
الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله
عليه السلام لما راي انه يستعمله في امره لا محاله اثر
ما تعم فوايده وتجل عوايده وفيه دليل علي جواز
طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد
الكافر اذا علم انه لا سبيل الي اقامة الحق وسياسة
الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم
علي يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض
مصر يتبوا منها حيث يشا ينزل من بلادها حيث
يهوي وقرا ابن كثير نشا بالنون نصيب برحمتنا من
نشا في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي
اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين
امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجا اخوة يوسف روي انه لما استوزره
الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات
وضبط الغلات حتي دخلت السنون المجدبة وعم القحط
مصر والشام ونواحيها وتوجه الناس اليه
فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتي لم يبق معهم
شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع
والعقار ثم برقابهم حتي استرقهم جميعا ثم
عرض

١٦٩

عرض الامر علي الملك فقال الراي رايك فاعتقهم
ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب
ساير البلاد فارسل يعقوب بنيه اليه للميرة فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه
لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم
اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها
من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم
واوقر ركايبهم بما جاوا لاجله والجهاز ما يعد
من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الي
اخري وما تزف به المراة الي زوجها وقري بجهازهم
بالكسر قال ايتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما
دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون
قالوا معاذ الله انما نحن اولاد اب واحد وهو شيخ كبير
صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا
كنا اثني عشر فذهب احدنا الي البرية وهلك قال
كم انتم هاهنا قالوا عشرة قال واين الحادي عشر
قالوا عند ابينا يتسلي به من الهالك قال من يشهد لكم
قالوا لا يعرفنا احد هاهنا يشهد لنا فقال فدعوا بعضكم
عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم حتي اصدقكم
فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه
السلام يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زايدا لاخ لهم من

ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به
ليعلم صدقهم الا ترون اني اوف الكيل اتمه
وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان
احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني
ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على
الجزا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه في طلبه من
ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته
لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص
لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه
بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم او ترفعا
من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من
ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها
لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفونها اذا
انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما
رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل
معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل
ما نحتاج

ما نحتاج وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده
الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى
اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير
حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم
الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين
وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة
والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ
خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة
الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا
ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا
واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب
وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما
حكينا لك وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء
تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل
على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف
موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على
محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع
الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا

ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا
هذا اذا كانت ما استفهامية واما اذا كانت نافية
احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجملة معطوفة على ما نبغي
اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير
اي مكيل قليل اي لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال
لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي
ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه
من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر
لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت
حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به
جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به
الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان
تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة
بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل
النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم
كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب منك
الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله
على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال
وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة
عند

عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس
اثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته
اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل هامة وعين
لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم مما اشير
به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم
لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف
الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو
للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان
يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب
متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم
له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا
واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب
استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني
شفقته عليهم وحذاره ان يعانوا قضاها اظهرها
ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب
الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم
يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على
الطعام او في المنزل روي انه اضافهم واجلسهم

مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البوس بما كانوا يعملوا في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تخفيفا تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شي ضاع منكم

بجهازهم

من

والفقد غيبة الشي عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اوديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب كيلا يتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعا البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفا لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدا باوعيتهم قيل المؤذن

وقيل يوسف لانهم ردوا الي يوسف مقعد منك
وعا اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي
السقاية او الصواع لانه يذكر ويونث من وعا اخيه
وقري بضم الواو وبقلبها همزة كذلك في مثل ذلك
الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه
الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو بيان للكيد الا ان يشا الله ان يجعل ذلك الحكم
الملك والاستثنا من اعم الاحوال ويجوز ان يكون
منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالي واذنه نرفع
درجات من نشا بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل
ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم
انه تعالي عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من
هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالي ومعناه الذي
له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق
كل العلما عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت
عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف
وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت
المنطقة علي وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها
فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه
في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطي
السايل

السايل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها
ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة
السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها
قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعني
قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم
اخاكم او في سو الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار
الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا
ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس
كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه
فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان علي اخيه الهالك
مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله
ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلما
ظلم علي فتواكم فلو اخذ احدكم مكانه انا اذا لظالمون
في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجد
الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت
ظالما فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم
وزيادة السين والتا للمبالغة وعن البزي استايسوا
بالالف وفتح اليا من غير همزة واذا وقف حمزة القي حركة
الهمزة علي اليا علي اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا
نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قال
هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في
السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله

عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن
منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم
في يوسف فقصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون
مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا
ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على
اسم ان وخبره في يوسف او من قبل والرفع بالابتدا
والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة
لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة
اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية
ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض
مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي
او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة
معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال
روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع
منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا
غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من
هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين
لانه لا يحكم تعالى الا بالحق ارجعوا الى ابيكم
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر
الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا
عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من
رعايه

مي
منعه
ع

ورعايه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري
انه سرق او سُرِّق ودس الصواع في رحله او ما كنا
للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به
كما صنعت بيوسف واسال القرية التي كنا فيها يعنون
مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل
الى اهلها وسلهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب
العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد
في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم
وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه وقد تقدم والا فما
ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان
ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف
بمصر انه هو العليم بحالي وبحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى
عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال
يا اسفا على يوسف اي يا اسفي تعال فهذا اوانك والاسف
اشد الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم وانما
تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزوهما لان
رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع
قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث
لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى
ان يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال

يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من ملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى

احد

احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا خبرهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله

وقرئ بالجيم

التي تحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمة الله

فقنه

بحيث ان لا يستطيع ان يكلمهم لا بهن وذلة اذ انهم
جاهلون فيه فلذلك اقدموا عليه او عاقبته وانما
قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا لهم على التوبة وشفقة
عليهم لما راى من عجزهم ومسكنتهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا
له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال
لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم ذا فعل الجهال او انهم
كانوا اذا صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرا
ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه بروايته وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل
رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من
ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما وادخالا له في قوله تفخيما لنفسه
لشانه في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق
اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه
على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك
الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا
لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال
لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي
يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق
العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر
للجار

للجار الواقع خبرا للاتثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته
فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم
حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر
الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف
انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة الى الطعام
ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان الله بلغ عبد
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في اعينهم
حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا
بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا
من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني
لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من
ريحه حين اقبل عليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان
تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث
من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها
ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلتم
انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قديما بالافراط في محبة يوسف والاكثار
ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه
قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا
اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب

والغنى

ح

او يعقوب بنفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش
فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا
والمقول لا تيأسوا من روح الله واني لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال
سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى
السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت
الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه
عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويويده
ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى
نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح
فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل
استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه
وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن
معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان
اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين
رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة
الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه

اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل
العم منزلة الاب في قوله واله ابائك ابراهيم واسماعيل
واسحاق ولان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى
اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف
المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن
والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة
له فان السجود عندهم كان يجري مجراها وقيل معناه
خروا لاجله سجدا شكرا وقيل الضمير والواو لابويه
والاخوة والرفع موخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام
بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي
رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ
اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي
واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها
وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له
اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه
هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان
يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل

عليه السلام قال او ما تساله قال انت ابسط الي منه
مني اليه متساله قال جبريل الله امرني بذلك لقوله واخاف
ان ياكله الذيب فهلا خفتني رب قد اتيتني من
الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل
الاحاديث الكتب او الرويا ومن ايضا للتبعيض لانه لم
يوت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما ونصبه
على انه صفة المنادي او منادي براسه انت وليي
ناصري ومتولي امري في الدنيا والاخرة والذي
يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني
بالصالحين من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة و
والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ثم توفي واوصي ان يدفن بالشام الي جنب ابيه
فذهب به ودفنه ثمة عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين
سنة ثم تاقت نفسه الي الملك المخلد فتمني الموت
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه
حتي هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر
ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الما ثم يصل الي مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسي الي مدفن ابايه وكان
عمره علي ماية وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل
افرايم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة
ايوب ذلك اشاره الي ما ذكر من نبا يوسف والخطاب
فيه للرسول صلي الله عليه وسلم وهو مبتدا من انبا
الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ
اجمعوا امرهم وهم يمكرون ... الدليل عليها والمعني ان
هذا

هذا النبا غيب لم نعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة
يوسف حين عزموا علي ما هموا به من ان يجعلوه في
غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم
ومن المعلوم الذي لا يخفي علي مكذبيك انك ما لقيت
احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق
استغنا بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت بمومنين لعنادهم وتصميمهم علي الكفر
وما تسالهم عليه من اجر جعل كما يفعله جملة الاحبار
ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين
من اية وكم من اية والمعني وكاي عدد شيئ من الدلايل
الدالة علي وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده
في السموات والارض يمرون عليها علي الايات ويشاهدونها
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقري والارض بالرفع علي انه مبتدا خبره يمرون
فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب علي ويطاون الارض
وقري والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون
اثار الامم الهالكة وما يومن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره
وباتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه تعالي او القول
بالنور والظلمة او النظر الي الاسباب ونحو ذلك وقيل
الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في
اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب

الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة
فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الي التوحيد
والاعداد للمعاد ولذا فسر السبيل بقوله ادعوا الي
الله وقيل هو حال من اليا علي بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عميا انا تاكيد للمستكن في ادعوا او علي بصيرة
لانه حال او مبتدا خبره علي بصيرة ومن اتبعني عطف
عليه وسبحان الله وانزهه تنزيها
من الشركا وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم
لو شا ربنا لانزل ملايكة وقيل معناه نفي استنبا النسا
يوحي اليهم كما يوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم
وقرا حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة والكسائي
في الحرف الثاني في سورة الانبيا وحمزة والكسائي يميلانه
علي اصلها هاهنا وفي النحل والاول من الانبيا من اهل القري
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة
ولدار الحال او الساعة او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا
الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم
ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالتا حملا علي قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون
حتي اذا استياس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام

اي

١٠٦

اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتي
ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا وعن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع
وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل
الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد
كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم
والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا
فيما وعد لهم من النصرة وخلط الامر عليهم وما روي
عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله
من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب علي
طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي
والامهال علي سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد
اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقري
كذبوا بالتخفيف وبنا الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخي عنهم ولم يروا له اثرا
جاهم نصرنا فنجي من نشا النبي والمومنين وانما لم
يعينهم للدلالة علي انهم الذين يستاهلون ان يشا الله
نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
علي لفظ الماضي المبني للمفعول وقري فنجا ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيين
لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا واممهم او في

او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي
العقول المبراه عن شوايب الالف والركون الي الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية
وتفصيل كل شي يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر
ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم
يومنون يصدقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم
علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة
الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين
كفروا الاية وايها خمس واربعون بسم الله
الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك
ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى
اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران
والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر
بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى
الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق
والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل
على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل
صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل
بحسن

بحسب اتباعه ولكن اكثر الناس لا يومنون لاخلالهم
النظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير
عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم
وقرى عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد
برويتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع
الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها
في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان
يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات
على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من
الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على
حد من السرعة ينفع في حدوث الكاينات وبقايها كل
يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية
مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا
النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام
والاحيا والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها
مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا
ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها
قدر على الاعادة والجزا وهو الذي مد الارض بسطها طولا
وعرضا لتثبت عليها الاقدام وتتقلب عليها الحيوان وجعل
فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشي اذا ثبت

جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق
بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من
جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض
والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان
مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا
اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع
دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر
موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك
تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط
ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب
وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع
وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع
عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير
صنوان متفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم

وهي

وهي لغة تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا
ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ١٦١
ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر
الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب
قولهم حقيق بان يتعجب منه وان من قدر على انشاء ما قص
عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة
كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة
من حيث انها تدل على كمال علمه تعالى وقدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد
بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل
عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم
لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في
اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او
يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية
وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا
استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول

حلول امثالها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة
والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال
للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا قصصته منه
وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات
بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة
كركبة وركبات ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة
فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم
بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر واول المغفرة بالستر
والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل
احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه
لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحهم لنحو
ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد
نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم
يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على
هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته
بما ينزل من الايات ثم اردفه بما هو دال على كمال
علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه
تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه
بانه

بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر
على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم
بالكفر وقرا ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله
باق بالتنوين في الوصل واذا وقف وقف بالياء في هذه
الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون
بالتنوين ويقفون بغير ياء الله يعلم ما تحمل كل
انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال
الحاضرة او المترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد
وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى
مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
بن حيان لاربع سنين واعلا عدده لا حد له وقيل نهايته
ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي
اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن
خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلتها لازمين تعين ان تكون ما مصدرية
واسنادها الى الارحام على المجاز فانها لله او لما فيها
وكل شيء عنده بمقدار بقدر فانه تعالى
لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء خلقناه
بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين
وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب
الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير
العظيم الشان المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته

وقرا ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل واذا وقف وقف بالياء في هذه الاربعة

او الذي كبر عن نعوت المخلوقين وتعالي عنه سواء
منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن
هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا الليل وسارب
بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز
وهو عطف علي من او مستخف علي ان من في معني الاثنين
كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قال سواء
منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية
متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن
اسر او جهر واستخفي او سرب معقبات ملائكة تعقب
في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء علي
عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في
القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة علي تعويض الياء من
احدي القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او
من الاعمال ما قدم وما اخر يحفظونه من امر الله من باسه
متي اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه
من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ
به وقيل بمعني الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه
في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة
والعافية حتي يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة
بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له من
فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه
من

من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل
علي ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا
من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما علي العلة بتقدير
المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع
او الحال من البرق او المخاطبين علي اضمار ذي واطلاق
المصدر بمعني المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف
المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب
الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف
به السحاب لانه اسم جنس في معني الجمع ويسبح الرعد
ويسبح سامعوه بحمده متلبسين به فيصيحون سبحان
الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه علي وحدانية الله
تعالي وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة علي فضله ونزول
رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلي الله عليه وسلم
عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من
نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف
الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله
حيث يكذبون رسوله صلي الله عليه وسلم فيما يصفه
به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة
الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة
من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة علي
الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا علي رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاجد بن لقتله فاخذه عامر
بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه
له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته
ورمى عامر بغدة فمات في بيت سلولية فكان
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه
من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه
تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى
القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل
من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا
احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا
في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه
احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان
يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة
المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق
على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة
اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو
الحق وقيل الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق
والمراد بالجملتين ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله
واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق
وان كانت عامة والمراد وعيد الكفرة على مجادلة
رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم
باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان ضلالهم
وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعونهم
المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون
الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة
من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو
ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا
في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه
فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط
بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع
وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته
فانه يسجد له الملائكة والمومنون من الثقلين طوعا
حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة
والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم
لاحداث ما اراده فيهم شاءوا او كرهوا وانقياد ظلالهم
لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا
وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف
ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين
العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه

قد غدي والابصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات
والارض خالقها ومتولي امرها قل الله اجب عنهم بذلك
اذ لا جواب لهم سواه لانه البين الذي لا يمكن المراء فيه
ولقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه لم ان الزمهم
بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضي العقل اوليا
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا
اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
نفع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان علي ضلالهم
وفساد رايهم في اتخاذهم اوليا رجا ان يشفعوا لهم
قل هل يستوي الاعمي والبصير المشرك الجاهل بحقيقة
العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل الاعمي
المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع علي احوالكم ام هل
تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركا بل جعلوا
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركا
داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق
الله وخلقهم والمعني انهم ما اتخذوا لله شركا خالقين
مثله حتي يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هولا خلقوا
كل خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركا عاجزين لا يقدرون علي ما يقدر
عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة فجعل
الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم
نفاه عمن سواه ليدل علي قوله وهو الواحد
اي

اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب علي كل شي
انزل من السما ما من السحاب او من جانب السما نفسها
فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع وادي وهو
الموضع الذي يسيل الما فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للما
الجاري وتنكيرها لان المطر ياتي علي تناوب بين البقاع
بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها
في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليا
ن رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس علي وجه التهاون بها اظهارا
لكبريايه ابتغا حلية اي طلب حلي او متاع كالاواني
والات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها
زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الما وهو
خبثه ومن للابتدا او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالياء علي ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في
افادته وثباته بالما الذي ينزل من السما فتسيل به
الاودية علي قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع
المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الي العيون والقني
والابار والفلز ~~المذاب والمتعابه علي الحال~~ الذي
ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم
ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة
زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد

فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل او الفلز المذاب
وانتصابه علي الحال وقرئ جفالا والمعني واحد واما ما ينفع
الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض
ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم
الحسني الاستجابة الحسني والذين لم يستجيبوا له وهم
الكفرة واللام متعلقة بيضرب علي انه جعل ضرب
المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين
استجابوا خبر الحسني وهي المثوبة او الجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به وهو علي الاول كلام مبتدا لبيان
مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو
المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر
منه شيء وماواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد
المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمي
عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار
ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل
انما يتذكر اولو الالباب ذوو العقول المبرأة عن
مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله
ما عقدوه علي انفسهم من الاعتراف بربوبيته تعالي
حين قالوا بلي او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون
الميثاق

الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
تعالي وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق
الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا والذين صبروا علي ما تكرهه النفس ويخالفه
الهوي ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوها
واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه
الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية
لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها
فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها اولئك لهم عقبي الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي
ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات
ان رفعت بالابتدا وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف
بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل
من عقبي الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة
اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من
آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف علي المرفوع في
يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول
معه والمعني انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم
يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل

على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك
الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة
والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين
سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم
متعلق بعليكم او بمحذوف او هذا بما صبرتم لا بسلام
وان الخبر فاصل والبا للسببية او البدلية فنعم عقبى
الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن
العين بنقل كسرتها الى الفا وبغيره والذين
ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم
وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى
الدار الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يوسعه
ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة الدنيا بما
بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة في جنب
الاخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب
وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا
ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا
بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول
الذين

الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل
من يشا باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من
اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى
التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله
يضل من يشا ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم
وان انزل كل اية ويهدي اليه من اناب بما جئت به
بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدا
محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه
ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او
بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه
يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن
القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها
مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ وحسن ماب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال
الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم
امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم
الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وحالهم
يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة
الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شي رحمته
فلم يشكروا نعمه خصوصا ما انعم الله عليهم بارسالك
اليهم وانزال القران الذي هو مناط المنافع الدينية كلها
والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين

قال لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي
الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة
سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب
مرجعي ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط
حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة
في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت
به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من
خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا
او كلم به الموتى بقراءته فتسمع وتجيب عند قراءته لكان
هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير
والانذار او لما امنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك
فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
بساتين وقطايع او سخر لنا الريح ان نركبها ونتجر الى
الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا
ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير
وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن
وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى
على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل
شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله
قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويويد ذلك
قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم
وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا
وبن

وبن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم
يتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه
مسبب عن العلم فان المايوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك
علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي
هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو
على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا
عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او
بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا
من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل
الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم
كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز ان يكون تحل قريبا خطابا للرسول صلى الله
عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى
ياتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف
الميعاد لامتناع الكذب في كلامه تعالى ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه
والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من
اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف

رقيب عليها

الذين كفروا

تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او
عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية ولم يوجد ما
وجعلوا عطف ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه
على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه
على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم
فانظروا هل لهم ما يستحقون العبادة ويستأهلون
الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون
العبادة لا يعلمها او بصفات لهم يستحقونها لاجلها
لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم
شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى
كتسمية الزنجي كافورا وهذا الاحتجاج بليغ على اسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا
مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم حاسوه بها او كيدهم
للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا
بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر
وصد بالتنوين ومن يضلل الله فما له من هاد
يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والاسر
وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق
لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته
من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي
هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقيل خبره تجري
من

من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على
حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد
المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها
اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك
اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع
للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام
واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم
ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف
واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل
انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين
اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي ان اعبد الله واوحده
وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه
مما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك
بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه
مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر

المتفق عليه بين الانبيا واما ما عدا ذلك من التفاريع فمما
يختلف بالاعصار والامم فلا معني لانكاركم المخالفة فيه
وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل علي اصول الديانات المجمع
عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه
وانتصابه علي الحال ولئن اتبعت اهواهم التي يدعونك
اليها لتقرير دينهم والصلاة الي قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك مالك من الله من ولي ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمومنين
علي الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا
مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي
لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان
ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله
فانه المليّ بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب
علي العباد علي ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه
حكمته وقيل يمحو سيات التايب ويثبت الحسنات مكانها
وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزا ويترك
غيره مثبتا او يثبت ما راه وحده في صميم قلبه وقيل
يمحو قوما ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت
الكاينات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكساي ويثبت
بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض
الذي

الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض
ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا
الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا ناتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه علي
المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته
الذي يعقب الشي بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق
معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضا والمعني انه حكم للاسلام
بالاقبال وعلي الكفرة بالادبار وذلك كاين لا يمكن تغييره
ومحل لا مع النفي النصب علي الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو
سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم
بالقتل والاجلا في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيايهم
والمومنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يوبه بمكر دون مكره
فانه القادر علي ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب
كل نفس فيعد جزاها وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار
من الحزبين حيثما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة
منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل علي ان المراد
بالعقبي العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الي الدار كما
عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر علي ارادة
الجنس وقري الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله
وسيعلم من اعلمه اذا الخبر ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قيل المراد بهم روسا اليهود قل كفي بالله شهيدا
بيني وبينكم فانه تعالي اظهر من الادلة علي رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب

علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز او علم التورية
وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي
كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح
الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من
قرأ بالكسر ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون
مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده
علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة من الموفين بعهد الله سبحانه
وتعالى سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي
احدى وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع
الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه
وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله
الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور
بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن سأل
عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر
له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه
ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض
على

على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبرا والله خبر محذوف
والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه
كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين
من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به
من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة
واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه
رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على
الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب
من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن
سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس
فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها
عوجا يبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر
صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع
عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي
ضلوا عن الحق ووقفوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة
للضال فوصف به فعله للمبالغة او الامر الذي به الضلال
فوصف به فعله لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الا بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم ليبين
لهم ما امروا به فيفقهوا عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه

ويبين بجوه لقيد هم فانهم اول الناس اليه بان يدعوهم
واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم
بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى الامم مختلفة
كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن
ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم
الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ولما في اتعاب
القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل
الثواب وقرئ بلسن وهي لغة فيه كريش ورايش
ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد
وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه
تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل
نبي بلغة المنزل عليهم وذلك قوله ليبين لهم فانه
ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين
للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي
من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته
الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى
باياتنا يعني اليد والعصى وساير المعجزات ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور يعني اي اخرج لان في الارسال معنى
القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على
المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام
العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلايه ان في ذلك لايات
لكل

لكل صبار شكور يصبر على بلايه ويشكر لنعمايه فانه اذا
سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء
اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل
مومن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر
عنوان المومن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته
وقت انجايه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت
مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اردت بها العطية دون
الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا
وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال
الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى
الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من
كلام موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه
ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل بما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان
والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا
شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد

ويعرض بالوعيد عليه ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر
او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال
موسي ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان
الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود
تحمده الملايكة وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسي او كلام مبتدا
من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت
اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم
اعتراض والمعني انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما
جات به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزا عليه كمن
غلبه الضحك او اسكاتا للانبيا وامرا لهم باطباق
الافواه او اشاروا بها الي السنتهم وما نطقت به من
قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه
او ردوها في افواه الانبيا يمنعونهم من التكلم وعلى
هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعني الايادي
اي ردوا ايادي الانبيا التي هي مواعظهم وما اوحي
اليهم من الحكم والشرايع في افواههم لانهم اذا كذبوها
ولم يقبلوها فكانهم ردوها الي حيث جات منه وقالوا انا
كفرنا

كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه من الايمان وقري تدعونا بالادغام مريب موقع في
الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمين
الي الشي قالت رسلهم افي الله شك ادخل همزة الانكار
على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي
انما ندعوكم الي الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة
وظهور دلالتها عليه واشاروا الي ذلك بقوله فاطر
السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الي الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم
الي المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول
له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو
ما بينكم وبين الله فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل
جي بمن في خطاب الكفرة دون المومنين في جميع
القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعني فيه ان
المغفرة حيث جات في خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جات في خطاب المومنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن
المظالم ويوخركم الي اجل مسمي الي وقت سماه الله تعالي
ويجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شا الله ان
يبعث الي البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباونا بهذه الدعوي

فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
هذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا
ما جاوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى
تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن
الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في
الجنسية وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله
ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض
الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم
بسلطان الا باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالايات ولا
تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو
امر متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى
الله فليتوكل المومنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم عموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على
الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي
بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف
ها هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم
محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من
الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن
ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى
الصيرورة

الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا
وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة للموحى به وهو اهلاك
الظالمين واسكان المومنين لمن خاف مقامي موقفي وهو
الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة
او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف
وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار
واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم
وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبيا
وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوا ان ينصر
المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن
وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المومنون
وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة
اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع
من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه
مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها

في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما يواري عنك ويسقي
من ما عطف علي محذوف تقديره من ورايه جهنم
فانه مرصد بها يلقي فيها ما يلقي ويسقي من ما صديد عطف بيان
لما وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
وهو صفة لما او حال من الضمير في يسقي ولا يكاد يسيغه
ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب علي الحلق بسهولة وقبول
نفس ويانيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشد
فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده
حتي من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح
ومن ورايه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في
كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار
وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة
الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر
في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم
بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم
مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلي عليكم صفتهم التي هي
مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي علي الاول
جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من
المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت
الذهاب

الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد
الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صايم وليله
قايم شبه به صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة
الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها
لبنايها علي غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه
او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم علي شي لحبوطه فلا يرون
له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الي
ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد
فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلي الله
عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة
علي التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسايي
خالق السموات ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق
خلقا اخر مكانكم رتب ذلك علي كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما
يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير
الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك
كما قال سبحانه وما ذلك علي الله بعزيز بمتعذر او
متعسر فانه تعالي قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يومن
به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء

وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة
لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا
يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله
فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما
ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفا الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعفا الراي وانما كتبت بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر
نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون
عنا دافعون عنا من عذاب الله من شي من الاولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اي بعض الشي الذي هو عذاب الله ويجوز
ان يكونا للتبعيض اي بعض الشي الذي هو بعض
عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى
مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض
العذاب بعض الاغنا قالوا اي الذين استكبروا جوابا
عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا
الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا واضللنا
كم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دونا
طريق الخلاص سوا علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان

علينا

علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدول على جهة النفرة وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت
ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سوا علينا من كلام الفريقين ويؤيده
ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا وقال
الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار خطيبا في الاشقيا من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا
من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزا ووعدتكم
وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم
فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم
من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعاي اياكم
اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثنا منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح
العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ
دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها
ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله
اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي
بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل لالتقا الساكنين وهو
اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات
مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف

فبالحري ان لا انجيكم وفتحها يا او علي لغة من يزيد يا علي يا الاضافة
اجرا لها مجري الها والكاف في ضربته واعطيتكاه اكتفا وحذف
اليا اكتفا بالكسرة اني كفرت بما اشركتموني من قبل ما اما
مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا يعني تبرات منه واستنكرته
كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعني من
نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالي
بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها
من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم
واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الي مفعول
ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلام الشيطان او
ابتدا كلام من الله تعالي وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين
وايقاظ لهم حتي يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله
وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل علي التكلم
فيكون قوله باذن ربهم متعلق بقوله تحيتهم فيها سلام
اي تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم الم تر كيف
ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة
كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة مشبهة بشجرة طيبة وهو
تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة
بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف
اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجرا لها
مجري

مجري جعل وقد قرئت بالرفع علي الابتدا اصلها ثابت في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها اعلاها في السما ويجوز ان يريد وفروعها
اي افنانها علي الاكتفا بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة
وقرئ ثابت اصلها والاول علي اصله ولذلك قيل انه اقوي ولعل الثاني
ابلغ تؤتي اكلها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها
بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه
تصوير للمعاني وادنا لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من
فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار
واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة
التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعا الي الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بها ما يعم ذلك
فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الي صلاح والكلمة
الخبيثة ما كان علي خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة
وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل
والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم
وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا
في دينهم كزكريا ويحيي وجرجيس وشمعون والذين
فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا
عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة
روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم

ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان ويجلسانه في
قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي
الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان
صدق عبدي الحديث فقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على
التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشا من تثبيت بعض واضلال الاخرين من
غير اعتراض عليه سبحانه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس
النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين
لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه
وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلا فبقوا مسلوبي
النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم
الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم
على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من
القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر
ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا
ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح اليا
وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد
لكن

لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم
وبعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها
وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك
علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه
فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم
بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون بحقوق
العبودية ومقول القول محذوف دل عليه جوابه اي قل
لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة
وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره
وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر
ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هنا ولم يحسن
في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين
مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين
الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا
كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر
اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر
وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب
اعلان الواجب واخفا المتطوع به من قبل ان ياتي

يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به
تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع
لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي
خلق السموات والارض مبتدا وخبره وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل
المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له
حال ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب
بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم
الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه
الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان
من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه
يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف
بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان
حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل
وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية
ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اي وآتاكم من كل ما احتجتم اليه وما سألتموه بلسان
الحال

الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم
من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة
الخوف وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني
وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في
جانب وقرئ واجنبني وهما لغتا نجد واما اهل الحجاز فيق
فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق
الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع
ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم
محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار
ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة
واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على
ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن
عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء

او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل علي ان كل ذنب فلله
ان يغفره حتي الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من
ذريتي فحذف المفعول وهم اسماعيل ومن ولد منه فان
اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي
مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض
له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو
دعا بهذا الدعا اول ما قدم ولعله قال ذلك باعتبار ما كان او
ما سيول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم
فولدت منه اسماعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الي ارض مكة فاظهر الله
عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا
علي الما فقصدوه فراوهما عندها عين فقالوا اشركينا في مائك
نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي
وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع
من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم
وتكرير الندا وتوسطه للاشعار بانها المقصودة بالذات
من اسكانهم ثم والمقصود من الدعا توفيقهم لها وقيل لام
الامر والمراد هو الدعا لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم
الاقامة وسال من الله تعالي ان يوفقهم لها فاجعل افئدة
من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليها فارس والروم
و

ولحجت اليهود والنصاري او للابتدا كقولك القلب مني سقيم
اي افئدة ناس وقرا هشام افيدة بخلف عنه بيا بعد الهمزة
وقري افدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادور
وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز
ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد
وقري تهوي علي البنا للمفعول من اهوي اليه غيره وتهوي
من هوي يهوي اذا احب وتعديته بالي لتضمين معني
النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات
فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله
حرما امنا تجبي اليه ثمرات كل شي حتي يوجد فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعني انك اعلم
باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الي
الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الي رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير الندا للمبالغة
في التضرع واللجا الي الله تعالي وما يخفي علي الله من شي في
الارض ولا في السما لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته
الي كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي علي
الكبر اي وهب لي وانا كبير ايس عن الولد قيد الهبة
بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الاية

اسماعيل واسحاق روي انه ولد اسماعيل لتسع وتسعين
سنة واسحاق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع
الدعا لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو
من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الي فاعله او
مفعوله علي اسناد السماع الي دعا الله علي المجاز وفيه اشعار
بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب له بفضله حين
ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب
اجعلني مقيم الصلاة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي
عطف علي المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام
الله تعالي واستقرا عادته في الامم الماضية انه يكون
في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاي واستجب دعاي
اي وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقد قيل
لابويه وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
ادم وحوا وللمومنين يوم يقوم الحساب يثبت
مستعار من القيام علي الرجل كقولهم قامت الحرب علي ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به تثبيته علي ما هو عليه من انه
مطلع علي احوالهم وافعالهم لا يخفي عليه خافية والوعيد علي
بانه معاقبهم علي قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم
غفلته تعالي جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل
انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يوخرهم ليوم عذابهم
وعن

وعن وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى
مهطعين مسرعين الي الداعي او مقبلين بابصارهم فلا
يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال علي الشي
مقنعي رووسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم
شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الي انفسهم
وافيدتهم هوا خلا اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة
والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هوا اي لا راي فيه
ولا قوة قال زهير من الظلمان جوجوه هوا وقيل خالية
عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم
وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب
ربنا اخرنا الي اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الي الدنيا
وامهلنا الي حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا
مقدار ما نومن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع
الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الي اجل قريب
فاصدق واكون من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من
قبل ما لكم من زوال علي ارادة القول وما لكم جواب القسم
جا بلفظ الخطاب علي المطابقة دون الحكاية والمعني اقسمتم
انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا
بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الي دار اخري وانهم اذا

مانوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل
بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم
ظلموا كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من اثار
ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم
الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة
كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه
جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم
ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او وعنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في
العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال
وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم
ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا
ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه
وقرا الكسائي ليزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي
المفصلة لفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كان مكرهم فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب
الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول
الثاني

الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذا لم يخلف الله وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم
تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام
او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض
وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك
بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا
غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات
والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل الارض من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما
يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن
عباس رضي الله عنه هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل
عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها
عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون
الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني
ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به
قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى
ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله
الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه تعالى
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة

كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الي غيره ولا مستجار
وتري المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب
مشاركتهم في العقايد والاعمال لقوله تعالي واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما كسبوا من العقايد
الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الي رقابهم
بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم علي
ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة
بن جندل وزيد الخيل قد لاقي صفادا يعض بساعد
وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران
وجا قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ
فتهنا به الابل الجربي فيحرق الجرب بحدته وهو اسود
منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلي به جلود اهل النار
حتي يكون طلاوهم كالقميص ليجتمع لذع القطران
ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم
علي ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس الملكات
الردية والهيات الوحشية فتجلب اليها انواعا من
الغموم والالام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس
او الصفر المذاب والاني المتناهي حره والجملة حال ثانية
او حال من الضمير في مقرنين وتغشي وجوههم النار
اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الي الحق ولم يستعملوا

في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله
كما تطلع علي افيدتهم لانها فارغة من المعرفة مملوة
بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار علي وجوههم
ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي الله كل
نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه تعالي
لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الي القران او السورة
او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا
تحسبن الله غافلا بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا
به عطف علي محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ
فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره
ولينذروا به انزل او تلي وقري بفتح اليا من نذر به اذا علمه
واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل
فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة علي ما يدل عليه
وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه تعالي ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد
هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمالهم القوة النظرية التي منتهي كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس
التقوي جعلنا الله من الفايزين عن النبي صلي الله عليه وسلم

منقذا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية
وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره
للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر
او حلول الموت او يوم القيامة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح
والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء
التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان
يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه
وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان
يبادروا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال يوم القيامة
فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم
كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم
ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول
عليه السلام من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال
بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ
والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو
كقوله

كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال
دخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير
ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه
له وهو قولهم انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى
تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لوما تاتينا ركب لو مع ما
كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض
بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على
تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبلك ان كنت من الصادقين
في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالنون وبكسر الزاي وبالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ
تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي
بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان
ياتيكم صور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في
معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت
كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا
اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو
نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص

بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه
على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ له كما نفي ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير
في له على للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من
قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة
المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله
الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا
رجالا منهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من
رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى
او ماضيا قريبا منه وهذا حكاية على الحال الماضية
كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء
في الشيء كالخيط والمخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء
فيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل
للذكر فان الضمير الاخر في قوله تعالى لا يؤمنون به له وهو
حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة
المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب
الضمائر توافقها في الرجوع اليه ولا يتعين ان تكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين
ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل تقويه وقد خلت
سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك
الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم

حكاية

فيظلون

فيظلون وعيد لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون
عجائبها طول النهار هم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة
وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد
وتشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير وقرا سكرت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند
ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة
على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم
بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة
الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع
بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها
وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يوسوس اهلها
ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق
السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من اقطار السموات لما بينهم
من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع
الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها
اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق

ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر
ويدل عليه قراءة من قرا

صح

السمع فاتبعه تبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد تطلق للكوكب والسنان
لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها اي في الارض او فيها
وفي الجبال من كل شي موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه
حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون
او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب
النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها
من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم
ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون
انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله تعالى يرزقهم
واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة
بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الموضع محدثة
فيها انواع الحيوان والنبات المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز
ان لا يكون كذلك على كمال قدرته تعالى وتناهي حكمته
والتفرد في الوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم
في ذلك ليعبدوه ويوحدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان
من شي الا عندنا خزائنه اي ما من شي الا ونحن قادرون
على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشيا المخزونة
الذي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله
من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حدته الحكمة وتعلقت به
المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات
مشتملا

مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص
حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك
بالعقيم او ملقحات الشجر او السحاب ونظيره الطوائح وقرئ
وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من
من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران
والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل
حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه
ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه
دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي
بايجاد الحياة في بعض الاجسام ونميت بازالتها وقد اول
الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة
على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق
كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر
او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من
تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر
ولا يخفى علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج
على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل
رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه
فنزلت وقيل ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتقدم بعض القوم لاجل تبطئة البعض وتاخر البعض

لبعض ها قبلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزا وتوسيط

الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير

وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق

من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشيا يدل

على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة

متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شي ولقد خلقنا

الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا

نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من

حما طين تغير واسود من طول مجاورة الما وهو صفة صلصال

اي كاين من حما مسنون مصور ماخوذ من سنة الوجه

او مصبوب ليبس او يتصور كالجواهر المذابة تصب

في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور

منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل

ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه

او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان

ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان

ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو

الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من

شخص واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره

مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل

من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد

النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة

كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة

التي الغالب فيها الجز الناري فانها اقبل لها من التي الغالب

فيها الجز الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله

خلقكم

خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة

الله وبيان بدا خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية

التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع

والاحيا واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملايكة اني خالق

بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته

وهيايته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى

جرى اثاره في تجاويف اعضايه فحيي واصل النفخ اجرا

الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار

اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية

فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل

تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر في سورة

النسا فقعوا له ساجدين امر من

وقع يقع فسجد الملايكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين

للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل

للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين

دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا

لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان

يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل

متصلا كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا سجد

قال يا ابليس ما لك ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون

مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي

اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني

كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون

وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرف العناصر

استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب

عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السما او من الجنة
او من صف الملايكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله والخير والكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو
وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد
والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب
ايام التكليف وليس منه زمان الجزا وما في قوله فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده
وقيل انما حد الله اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس
او لانه يعذب فيه بما ينسي اللعن معه فيصير كالزايل
قال رب فانظرني فاخرني والفا متعلقة بمحذوف دل عليه
فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد بذلك ان يجد
فسحة في الاغوا ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجله عند الله او انقراض
الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان
يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف
العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزا
لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه
في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت
اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة
وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان
خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال

رب

رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن
لهم في الارض والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم
المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى
الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغوا بالنسبة الى الغي او التسبب
له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق
الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة
غيه وتسلط له على اغوا بني ادم بان الله تعالى علم منه
وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار
امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق
مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم
اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم
المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من
الشوايب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله
قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف
عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثنا وهو تخليص المخلصين
من اغوائه او الاخلاص على انه طريق علي يؤدي الى
الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرى علي من
علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان
عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له
فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده

فان منتهي تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
وعلي هذا يكون الاستثنا منقطعا وعلي الاول يدفع
قول من شرط ان يكون المستثني اقل من الباقي لافضائه
الي تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد
الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل
فيها الموعد ان جعلته مصدرا علي تقدير مضاف ومعني
الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب
يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وهي جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم
سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار
مجامع المهلكات في الركون الي المحسوسات ومتابعة
القوة الشهوية والغضبية ولان اهلها سبع فرق لكل
باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها
للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصاري
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين
والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ
جز علي حذف الهمزة والقا حركتها علي الزاي ثم
الوقف عليه بالتشديد ثم اجرا الوصل مجري الوقف
ومنهم حال منه او مستكن في الظرف لا في مقسوم
لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه ان المتقين من
اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهم مكفر في جنات
وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان
و

وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير
اسن وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون
بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها علي
ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء علي انه ماض
فلا تكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين
من الافة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في
الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد
١٨٩ كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد علي
درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في
جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير
المضاف اليه والعامل فيها معني الاضافة وكذا قوله
علي سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا
او حالين من ضميره لانه بمعني متصافين وان يكون
متقابلين حالا من المستتر في علي سرر لا يمسهم فيها
نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير
في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة
في الخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل علي انه لم يرد بالمتقين
من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف
ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد
وتاكيده وفي عطف ~~نبئهم~~ ونبئهم عن ضيف
ابراهيم علي نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون
به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما

قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن
وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا اوجل ولا
توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله
انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو اسحاق عليه السلام لقوله وبشرناه باسحاق
عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب
من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر
به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي
فباي اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور
عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة
في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية
ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا
لاجتماع المثلين ودلالة بابقا نون الوقاية على اليا قالوا
بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي
لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره
فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فانه تعالى
قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ
فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار
العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون
سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو
والكسائي

والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله
سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة
لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا ال لوط
ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام
وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم
والارسال شاملان للمجرمين وال لوط المؤمنين به وكان
المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط منهم
لنهلك المجرمين وننجي ال لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بال لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع
وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء من ال لوط
او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم
لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا
وقرا حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن
الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر
قدرنا هاهنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق
من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان
يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضا
قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسناده اياه الى
انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص
به فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون

تنكروكم لنفسي وتنفروا عني مخافة ان تطرقوني بشر قالوا
بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا
لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو
العذاب الذي وعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به
فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرئ اسر بان بوصل
الالف من السري وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال الشاعر
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم
وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه
فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احد فلا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
وامضوا حيث تؤمرون اي حيث امركم الله بالمضي اليه
وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث تؤمرون
الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي واوحينا
اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره
ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي
ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف
والمعنى انهم يستأصلون عن اخرهم بحيث لا يبقى منهم
احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او
من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى
فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة
سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان
من

من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون
من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين من
ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينه فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة
الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي
كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة
هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما تقول لك لعمرك
قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة
في العمر فيختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير
الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او
شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم
والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون
فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة
جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت
منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين
متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد
بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لايات
للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها
وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه

الناس ويبصرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها
على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم
به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن
كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز
ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر
واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا
فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم
او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب
لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين
من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم
ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت
الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض
وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح

فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم
معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك
وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل
اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم
وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان
وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة
وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل
التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع
صحايف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته
والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة
والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته
العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني
القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن
العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به
الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة
الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض
الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من
اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما

اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه صلى الله
عليه وسلم وافى باذرعات سبع قوافل اليهود بني قريظة
والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها
ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اوتيتم سبع ايات
هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم
لم يؤمنوا وقيل انهم المتقون به واخفض جناحك للمؤمنين
وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا
كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم
فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون
هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم
بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف
لقوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا
بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين واهل الكتاب امنوا ببعض على ان القران
ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الخ اعتراض ممهد
لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصله
عضوة من عضي الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا
فعله من عضهه اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما
جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة
للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا
يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه
وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما
تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز
وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر
به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى
ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم
وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه
وسلم والاستهزاء به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال
فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت
فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن
عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح برأسه
الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني
الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها
اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك

والطعن في القران والاستهزا بك فسبح بحمد ربك
فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف
الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق
وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا
احزنه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده
مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه

سورة النحل مكية غير ثلاث ايات في اخرها

وهي مائة وثمان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول
صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل
يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة
الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا
وقوعه فانه لا خير لكم فيه سبحانه وتعالى عما يشركون
تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم
وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه
والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب
للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انها لما نزلت اتى امر الله
فوثب

فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت
فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القران فانه
يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح
في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به
علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل
وعن يعقوب وغيره تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل
على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره
ومن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان
انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا
علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون
او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان
الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع
الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة
من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة
الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو
منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو
اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والاية
التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل
على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه
على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر
على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق

دو جدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها
وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر
في وجوده او بقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه
دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من
نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل
فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم
مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان
ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال
يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام
الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها
لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله
وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد
ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها
واللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على
رؤس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه
في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى
سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين
تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين
تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية
تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها
تقبل

تقبل ملأ البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر
حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل
اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي لم تكن
الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه
الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو
لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله
الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه يذهب
نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث
رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل
والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي
لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على
محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق
والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى
هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع
الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها
واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره
اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق
ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا.

عذوريا او غير عذور بي الجهل غيرها ويجوز ان يكون
اخبارا بان له من الخلائق مالا علم لنا به وان يراد به ما خلق
في الجنة والنار مما لم يخطر علي قلب بشر وعلي الله قصد
السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الي الحق او اقامة
السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل
يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك
لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها
القصد وقال ومنها جائر مايل عن القصد او عن الله تعالي
وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق علي الله ان يبين
طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم
الي القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر
اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم
اجمعين لهداكم الي قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السما ماء لكم
منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب
ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر
المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه
لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه
شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي
وقيل كل ما نبت علي الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا
عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون
ترعون

ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة
وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات وبعضها اذ لم ينبت في الارض كل
ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه علي ما يوكل
منه لانه سيصير غذا حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن
هذا تقديم الزرع والتصريح منه بالاجناس الثلاثة
وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون علي وجود الصانع
تعالي فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها
نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منها ساق
الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل
كل منها علي اجسام مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد
المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية
الي الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار تقدس
عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به
لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم
بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شا
او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان
بالجواب عما عسي ان يقال المؤثر في تكوين النبات
حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا

دبيب في النهار بيعا ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجود
مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او
مصدر جمع لاختلاف النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات
على المبتدا والخبر فيكون معها للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن
عامر والشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة الظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفا فكر كاحوال
النبات وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق
لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف
باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو
الذي سخر لكم البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه
بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع
الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق
وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما
حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان
الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف ان لا يركب
دابة

دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم
لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى
الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مشتقة بحيزومها
من المخر وهو شق الما وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا
من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون
اي تعرفون نعمة الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام
من حيث انه تعالى جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان
تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض
قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال
على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز وصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة
وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وارسيت الجبال
على ظهرها وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه
معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة

الله تعالى وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة من جبل
وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل
في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة
وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل
الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير
لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن
الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه خصوصا
قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار
بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الحجة والدلائل المتكاثرة
على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد
من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا
يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان
حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك به جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها به والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون
الله فغلب فيه اولوا العلم منهم والاصنام واجروها مجرى
اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم
او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما
لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه
لجلائه

لجلائه كالمحسوس للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر
والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها
فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم
والزام الحجج على تفرده سبحانه باستحقاق العبادة تنبيها
على ان وراء ما عدد منها لا ينحصر وان حق عبادته غير
مقدورة ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة
الذين يعبدونهم من دون الله وقرأ عاصم ويعقوب
يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالتاء لا يخلقون شيئا
لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين
انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم
اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالهية فقال وهم
يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق اموات غير احياء
والاله ينبغي ان يكون واجبا بالذات لا يعتريه
الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على
عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب
والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم
اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج والذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم

بعد وضوح الحق وذلك لعدم ايمانهم بالاخرة فان المومن
بها يكون طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع فينتفع به
والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا
يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف
فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك
رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه
مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما يدعون
نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على
التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير
لا تحقيق فيه والقايلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم
وبعض من اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم
انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم
اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بيس شيا يزرونه فعلهم قد مكر
الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل
الله

الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد
التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم
وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل
المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف
ذراع ليترصد امر السما فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار
لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين
شركاي اضاف الى نفسه استهزاء وحكاية لاضافتهم
زيادة في توبيخهم وقرا البزي بخلاف عنه اين شركاي
بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم
تعادون المومنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى
تشاقونني فان مشاقة المومنين كمشاقة الله قال الذين
اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته
لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملايكة وقرا
حمزة باليا وقري بادغام التا في التا وموضع الموصول يحتمل
الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب
المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت
ما كنا نعمل من سوء قايلين ما كنا نعمل من سوء كفر
وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم

على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملايكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا ويحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المومنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جا المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاوون من انواع المشتهيات

وفي

وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزا يجزيهم وهو يويد الاول الذين تتوفاهم الملايكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملايكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه انفسهم نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يلحقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين يبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملايكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك او التكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المودية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزا سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزا باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاوه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي انما قالوا ذلك استهزا او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شا الله يجب وما لم يشا يمتنع

فما الفائدة فيها او انكار لقبح ما انكر عليهم من الشرك
وتحريم البحاير ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة
لما شا الله صدورها عنهم ولشا خلافه ملجا اليه
لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه
علي الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل علي الرسل
الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يوثر
في هدي من شا الله هداه لكنه يودي اليه علي سبيل التوسط
وما شا الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في
الامم كلها سببا لهدي من اراد الله اهتداه وزيادة
لضلال من اراد ضلاله كالغذا الصالح فانه ينفع المزاج
السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت بعبادة الله واجتنابه فمنهم من هدي الله وفقهم
للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة
اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه علي فساد
الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة علي ان تحقق الضلال
وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدي
الله وقد صرح به في الاية الاخري فسيروا في الارض
يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
علي هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد
ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير
الكوفيين

لا يهدي علي البنا للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من
ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت عطف علي وقال الذين اشركوا ايذانا
بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة
في البت والجزم علي فساده وقد رد الله سبحانه عليهم
ابلغ رد فقال بلي يبعثهم وعدا مصدر موكد لنفسه وهو ما دل
عليه بلي فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف
في وعده او لان البعث مقتضي حكمته حقا صفة اخري للوعد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم
بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته تعالي بمراعاتها
واما لقصور نظرهم علي المالوف فيتوهمون امتناعه ثم
انه تعالي بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي
يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الي السبب الداعي الي البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشي اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه
وتقريره ان تكوين الله تعالي بمحض قدرته ومشيئته لا توقف
له علي سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن
له تعالي تكوينها اعادة بعده وقرا ابن عامر والكسائي هنا
وفي يس فيكون عطفا علي نقول او جوابا للامر والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلي الله
عليه وسلم واصحابه المهاجرون رضي الله عنهم

ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الي الحبشة ثم الي المدينة
وبعضهم الي المدينة او المحبوسون بمكة بعد
هجرة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب
وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه
ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة
او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطي رجلا من المهاجرين
عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ذخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار
اي لو علموا ان الله يجمع لهولا المهاجرين خير الدنيا والاخرة
لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا علي الشدايد واذي الكفار ومفارقة
الوطن ومحله النصب او الرفع علي المدح وعلي ربهم يتوكلون
منقطعين الي الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان
يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه علي السنة الملايكة والحكمة في ذلك قد ذكرت
في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسالوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل علي انه تعالي لم يرسل
امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملايكة رسلا فمعناه
رسلا الي الملايكة او الي الانبيا وقيل لم يبعثوا الي الانبيا الا متمثلين
بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام راي جبريل علي صورته التي
هو عليها مرتين وعلي وجوب المراجعة الي العلما فيما لا يعلم بالبينات

والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قايل
بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثنا مع رجالا اي
وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او صفة لهم اي رجالا متلبسين بالبينات او بيوحي علي المفعولية
او الحال من القايم مقام فاعله علي ان قوله فاسالوا اعتراض
او بلا يعلمون علي ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك
الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين
للناس ما نزل اليهم بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا
عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او
يرشد الي ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون
وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق افامن الذين مكروا
السيات اي المكرات السيات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا
او الذين مكروا برسول الله صلي الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه
عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او
ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السما كما فعل بقوم
لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين او ياخذهم علي تخوف علي مخافة بان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او علي ان ينقصهم شيا
بعد شي في انفسهم واموالهم حتي يهلكوا من تخوفته اذا
انتقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال علي المنبر ما تقولون

فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف
التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال
نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الي ما خلق الله من شئ استفهام انكار اي قد رأوا
امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم
كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة ومبهمة
بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الي المخلوقات
التي لها ظلال متفياه وقرا حمزة والكسائي تروا بالتا
وقرا ابو عمرو بالتا تتفيا عن اليمين والشمايل
عن ايمانها وشمايلها اي عن جانبي كل منها استعارة من
يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل باعتبار
اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله
سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد
من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او
الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد
البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حالان من الظلال
وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع
الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير
الله

الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ
او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى
فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان
الدخور من اوصاف العقلا وقيل المراد باليمين والشمايل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة
في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له
فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع
الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة
على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل
السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي
الحركة الجسمانية سوا كان في ارض او سما والملايكة عطف
على المبين به عطف جبريل على الملايكة للتعظيم او عطف
المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملايكة
ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملايكة تكرير لما في
السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد به ملايكتها
من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلا كما
استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى
من اطلاق من تغليبا للعقلا وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من
فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو
القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن

عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف
والرجا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع
ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماءا
بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه
على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة
الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك
الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا
وملكا وله الدين الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق
بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل
الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه اي لمن امن وعقابه
لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال
وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شي اتصل بكم من نعمة فهو من
الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها
من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما
تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم
كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان
كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق
وهم انتم ويجوز ان تكون للتبعيض على ان يعتبر كقوله فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما اتيناهم من نعمة الكشف
عنهم

عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكارا لكونها من الله فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ ويتمتعوا مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها لانها
جماد فيكون الضمير لما او للتي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات
مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على
ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها
الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني
البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتدا والنصب بالعطف
على البنات على ان الجعل في معنى الاختيار وهو وان افضى
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشي واحد لكنه لا يبعد
تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر
بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من
الكابة والحياء من الناس والاسوداد كناية عن الاغتمام والتشوير
وهو كظيم مملو غيظا من المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه
متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام
يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما

منهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا
محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء
وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا
بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل
الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفا
ئق والنزاه عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد
بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم
ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من
غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها من دابة المتن فقط
لشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بظلمهم
لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او
لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم
الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء
لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون
لله ما يكرهون اي ما يكرهونه من البنات والشركاء في الرياسة
والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة
للالسنة

لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون
مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع
بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد
مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في
الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين
لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او اتية
ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم
وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او
الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب
اليم في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال
المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت
فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم
يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة
دالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه
استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ها
هنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان
الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاف واكياس ومن قال انه

بجمع ثم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون
جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر نسقيكم بالفتح هاهنا
وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من
بعض اجزا الدم المتولد من الاجزا اللطيفة التي
في الفرث وهو الاشيا الماكولة المنهضمة بعض
الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت فانطبخ العلف في
كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما
ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلا
مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما تهضمها هضما ثانيا
فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة
تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي
على الاعضا بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق
به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذائها لاستيلا البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين
فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع
فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا
ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد
مقارها

مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته
وتناهي رحمته من الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في
بطونها والثانية للابتدا كقولك سقيت من الحوض
لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقا وهي
متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه
لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه
لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من
الاجزا الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله تتخذون
منه سكرا استيناف لبيان الاسقا او بتتخذون ومنه
تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي
من ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير
الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف
الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر
مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس
والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة
وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض
الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد
الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه

ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر
والتامل في الايات واوحي ربك الي النحل الهمها وقذف في
قلوبها وقري الي النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي
ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في الايحا معني القول
وتانيث الضمير علي المعني فان النحل مذكر من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من
كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه
لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن
الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوي عليها حذاق المهندسين
الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه علي ذلك وقري
بيوتا بكسر البا وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الرا ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها
مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او
فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي
راجعة الي بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا جمع
تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت
ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل
به عن خطاب النحل الي خطاب الناس لانه محل الانعام
عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
شراب

شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم
ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل
في باطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتا ومن زعم انها
تلتقط بافواهها اجزا طلية حلوة صغيرة متفرقة
علي الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا
فاذا اجتمع في بيوتها شي كثير منها كان العسل فسر
البطون بالافواه ~~ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من~~
~~تدبر اختصاص النحل بتلك~~ مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر
واسود بسبب اختلاف النحل او الفصل فيه شفا للناس سن
اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في
سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جز منه
مع ان التنكير فيه مشعرا بالتبعيض ويجوز ان يكون
للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جا الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام
اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه
الله فبرا فكانما نشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما
بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم
يلهمه ذلك ويحمله عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال
مختلفة ومنكم من يرد الي ارذل العمر اخسه يعني الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل

خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا
يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية
في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم
قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه
على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان
ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم
موال يتولون رزقهم ورزق عبيدهم ومنكم مماليك حالهم
على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون
رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سوا
فالموالي والمماليك فيه سوا في ان الله رزقهم فالجملة لازمة
للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة
موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد
وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم
فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون
حيث يتخذون له شركا فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض
ما انعم الله به عليهم ويجحدون انه من عند الله او حيث
انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها
والبا لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتا
لقوله

لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حوا من ادم وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
هم الاختان على البنات وقيل الربايب ويجوز ان يراد بها
البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من
الطيبات من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض
فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يومنون
وهو ان الاصنام تنفعهم وان من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحاير والسوايب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا
نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة
على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون
ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده
في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى
الكفار اي ولا يستطيع هولا مع انهم احيا متصرفون شيئا
من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا
لله مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب
المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون
عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في

المنقطعين من عبادته وعطف يستطيعون فيما تعقلون وانتم لا تعلمون
ذلك ولو علمتموه لما اجترأتم عليه وهو تعليل للنهي او انه يعلم
كنه الاشيا وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان
يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف الامثال تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فيضرب مثلا
لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك
العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه
كيف يشا واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما
مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني
القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمومن
الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه
ايضا عبد لله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر
ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون
لانه للجنسين فان المعنى هل تستوي الاحرار والعبيد
الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه
مولي النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمة الله
تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم

ولا

ولاخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شي من الصنايع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما
يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البنا للمفعول ويوجه
بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي
لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يامر بالعدل ومن
هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل
لجامع الفضايل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا وهو يبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان
ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه
وبينها او للمومن والكافر ولله غيب السموات والارض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد
بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل
يوم القيامة فان علمه غايب عن اهل السموات والارض وما
امر الساعة وما امر قيام القيامة في سرعته وسهولته
الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى
اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون
في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي تبتدئ فيه
فانه تعالى يحيي الخلايق دفعة وما يوجد دفعة
كان في ان واو للتخيير او بمعنى بل وقيل ان معناه ان
قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشي الذي
يقولون فيه كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه

ان الله على كل شي قدير فيقدر ان يحيي الخلق دفعة كما قدر
ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم
من بطون امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة
او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة
مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل
الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة هي الات
يتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشيا فتدركونها
ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر
الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
العلوم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا
ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكرونه الم يروا الى الطير
قرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له في جو السما في الهوا المتباعد من الارض ما يمسكهن
فيه الا الله وان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة
فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات لتسخير
الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق
الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهوا على خلاف
طبعها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من
الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف
والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق
عليها

عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة
يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم
اقامتكم وضعها او ضربها وقت الحضر او النزول
والحجازيان والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة
ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر
للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من
الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم
او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق
من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر
الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها
من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم
سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم
الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر
كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك يتم هذه النعمة التي تقدمت
عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون
به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك
وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا
ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما
عليك البلاغ المبين وقد بلغت وهذا من اقامة السبب
مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون

نعمة الله التي عدده عليهم وغيرها حيث يعرفون بها
وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها
وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
يعرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا
وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل
او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف
واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم
وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في
الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم
لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه
من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم
السلام ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
من العتبى وهي الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر
او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين
ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاهم
اوثانهم التي ادعوها شركا او الشياطين الذين شاركوهم
في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم
كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم
شركا

شركا الله وانهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواهم لقوله كلا
سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ
او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع منهم وبطل ما كانوا يفترون من ان
الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا
منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بصدهم ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة
بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا
لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى
السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم
من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل
بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر
وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي
القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص

بعد تحصيل للمبالغة وينهى عن الفحشا عن الافراط في متابعة
القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها
والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي
والاستعلا والاستيلا على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسا
ن شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى
هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه
هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام
عثمان ابن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه
تبيان لكل شي وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين
الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني
البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفا به
ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا
تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها
توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول
به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد
ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه
على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى
صيرت والمراد به تشبيه الناقض من نفسه بمن هذا شانه وقيل
التي

التي غزلها ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقا تفعل ذلك
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا كالتي
او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرة
هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل
الدخل ما يدخل الشي ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من
امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى
لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش
فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه
بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل
الوفا بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل
للامر بالوفا وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شا الله لجعلكم
امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشا بالخذلان
ويهدي من يشا بالتوفيق ولتسالن عما كنتم تعملون سوال
تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي
عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم
اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما
وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف

بافعالكم وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم
عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفا او صدودكم غيركم عنه
فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب
عظيم في الاخره ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد
وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش
يعدون ضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
انما عند الله من النصرة والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل
العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي
ويفنى وما عند الله من خزاين رحمته باق لا ينفد وهو
تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق
التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا
يعملون بما يترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى
بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مومن اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا
طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب
عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم
في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر
وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا
بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا

ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران اذا اردت قراته كقوله اذا قمتم الى الصلاة
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة
لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد
عليه ايذان بان الاستعاذه عند القراه من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرايل عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون على اوليا الله المومنين به والمتوكلين عليه فانهم
لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة
بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما
سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين
هم به اي بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا
اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان
الاية المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير
مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ
يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا ابن كثير
وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك
فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل وهو

اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون
حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله
روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم
حاتم الجود وقرا ابن كثير روح بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان
انزاله مدرجا على حسب المصالح مما تقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا
بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ
وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي
تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ
ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي
غلام عامر ابن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن
التوراة والانجيل العربي اسلم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
يمر عليهما ليسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد
العزى اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان
الذين يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم
عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي
يلحدون بفتح الثالث اعجمي غير بين وهذا القران
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
لابطال طعنهم وتقديره ويحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه
منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه
بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم
منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان
ذلك اعجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار
المعنى

المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في
القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق في تلك العلوم مدة
متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلامين سوقيين سمع منهما
بعض اوقات مروره عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
فطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على
غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها
من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل
الى الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران
بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب عليهم الامر فقال انما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا
يردعهم عنه واولئك هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة
او الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها
بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم
عنه عادة ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما
يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا
خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان
ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب
ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه
روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسر

[illegible]

وسمية قد ربطوا على ... بين بعيرين ووجي بحربة في قبلها وقالوا
انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول
قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا يا رسول الله
ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه
واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو
دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل
ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله
قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول
في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه
ثلاثا واعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع
بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها
عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في
علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن
تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا
كعمار بالولاية والنصر ولتباعد حال هؤلاء عن حال
اولئك كان

كمال حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد
ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى
ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد
وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب
برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى
في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى
كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله
بهم نقمة او لمكة كانت امنة مطمئنة اي لا يزعج
اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل
مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على
ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق
لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل
عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر
الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف
لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ثم
واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف للنوال وقد
ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني

ودونه فاعتد منه بشطر استغفار الود السفه ثم
قال فاعتبر نظرا الى المستغفار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم
بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم
ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم
من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله
عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه
بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع
الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان
كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان
الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم
محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن
التحليل والتحريم باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام
بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا
الكذب

الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او
مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي
ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من
غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة في وصف كلامهم
لان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها
بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها
يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما
والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب
تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم
الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه
منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة
الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من
قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه
تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه
كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل
بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره
ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة

لغفور لذلك السوء رحيم يثيب علي الانابة ان ابراهيم
كان امة لكماله واستجماعه فضايل لا تكاد توجد الا
مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وهو عليه السلام رييس الموحدين
وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقبه ذكر تزييف
مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم
ما احله او لانه كان وحده مومنا وكان ساير الناس كفارا
وقيل هي فعلة بمعني مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا
قصده او اقتدي به فان الناس كانوا يومونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا
لله مطيعا له قايما باوامره حنيفا مايلا عن الباطل ولم يك من
المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم كانوا
علي ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه
علي انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الي صراط مستقيم في الدعوة الي الله وآتيناه
في الدنيا حسنة بان حببه الي الناس حتي ان ارباب
الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا
طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه
علي ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول ملته او
لتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في
التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة
بعد

بعد التحدي والمجادلة مع كل احد علي حسب فهمه وما
كان من المشركين بل قدوة الموحدين انما جعل السبت
تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة علي الذين اختلفوا
فيه اي علي نبيهم وهم اليهود امرهم موسي عليه السلام
ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طايفة منهم وقالوا
نريد يوم السبت لانه تعالي فرغ فيه من خلق السموات
والارض فالزمهم الله السبت وشدد عليهم الامر وقيل
معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ علي الذين اختلفوا
فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخري واحتالوا له
الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي
كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة علي الاختلاف او
مجازاة كل فريق من الآبين والمطيعين بما يستحقه
ادع من بعثت اليهم الي سبيل ربك الي الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولي
لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لعوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة
التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر
فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين

اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال
والمجازاة عليها فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين
وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه
بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة
لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك
الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم
بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة
قد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له
ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم
وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو
اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم
صرح به الامر لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه
بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله
الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما
يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير
في ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل
ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع
الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية
والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون
بالشفقة

بالشفقة على خلقه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التي انعم عليه في دار الدنيا وان مات
في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح
الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة
ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة
الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام
به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا
نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة
الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن
الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام
قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام
لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روي
انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء
فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال
مثل لي النبيون وصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر
به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به
وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا
اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك
فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس
فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب

[illegible]

فقالوا اخبرنا عن عيرنا فنعتها واخبرهم بعددها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون الي الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يومنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة
واختلف في ان ذلك كان في المنام او في اليقظة بروحه
او بجسده والاكثر علي انه اسري بجسده الي بيت المقدس
ثم عرج به الي السموات حتي انتهي الي سدرة المنتهى
ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين
طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها
الاسفل يصل موضع طرفها الاعلي في اقل من ثانية
وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض وان الله قادر علي كل الممكنات فيقدر ان
يخلق مثل هذه الحركة الشريفة في بدن النبي صلي الله
عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات
الي المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه
مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من لدن موسى ومحفوف
بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة
من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل
الانبيا له ووقوفه علي مقاماتهم وصرف الكلام من
الغيبة الي التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ
ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلي الله عليه وسلم
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه علي حسب ذلك واتينا
موسى الكتاب وجعلناه هدي لبني اسرايل ان لا تتخذوا
علي

علي ان لا يتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء
علي ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا مع نوح نصب علي الاختصاص او
النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء وعلي انه احد مفعولي
لا يتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا
يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع
علي انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر
الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجا ابائهم من
الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا يحمد الله علي مجامع حالاته وفيه ايماء بان
انجاه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية علي الاقتدا
به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الي بني اسرايل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا علي
اجرا القضا المبتوت مجري القسم مرتين افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا
ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا
ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا
جا وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت
نصر عامل لهراسف علي بابل وجنوده وقيل جالوت
الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوي اولي باس شديد
ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم

وقتل ارميا

وجزي بالحا وهنا اخوان خلال الديار وسلطنا للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وصغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المساجد
والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر علي ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم
لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
علي الذين بعثوا عليكم وذلك بان القي الله تعالي في قلب
بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن
لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الي الشام وملك
دانيال عليهم فاستولوا علي من كان فيها من اتباع
بختنصر او بان سلط داود علي جالوت فقتله وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الي العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان
ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وباله عليها وانما ذكر
باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة
المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده
قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون
المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على
انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق
بمحذوف.

بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا
ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا
وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال
ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال
ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيي فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيي قد
علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل
ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الي عقوبتكم
وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد
قتله فعاد الله تعالي بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلا
بني النضير وضرب الجزية علي الباقين هذا لهم في الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون
علي الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط
الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او
الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي
ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم

وجزي بالجا وهذا الحوادث خلال الديار وسطها للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وصغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المساجد
والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم
لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى في قلب
بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن
لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك
دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر [illegible] تسلط داود على جالوت فقتله وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان
ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وباله عليها وانما ذكر
باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة
المرة الاخرة ليسوؤوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوؤوا
وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
[illegible] على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده
قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون
المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على
انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق
بمحذوف

بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا
ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا
وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرز وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال
ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال
ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد
علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل
ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم
وقد عادوا [illegible] بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد
قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلا
بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون
على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط
الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او
الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي
ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم

عذابًا اليمًا عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار
يخبر ويدعو الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو
شر دعاءه دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان
عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل
المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب
لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة
بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها
بقطع اليد ثم ندم عليه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد
بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول
النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة
او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم
اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير
الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او وجعلنا الليل والنهار
ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها
مطموسة

مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار
مبصرة التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء
بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار
اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب
وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر
له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير
والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق عنقه ونخرج
له يوم القيامة كتابا يلقاه هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة
بآثار اعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك
يفيد تكررها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول
محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج
يخرج وقرئ ويخرج اي الله تعالى يلقاه منشورا لكشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من
مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته
كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى
صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا
او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي

المدعي ما اهمه وتنكيره على ان الحساب والشهادة مما
يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي
اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى
بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا
السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها
بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على
ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن
الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من
طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها
كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان
الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من
النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان
لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصى وقيل معناه مفعول مع
كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فامر اذا كثرته وفي
الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز عن معنى الطلب ويؤيده

قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل
ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء
وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانه اسرع الى
الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة
العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من
القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها
وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة
لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه
وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من
له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق
المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله
به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في
الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة
وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما
امروا والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم

وفائدة تنكير ة الامر اعتبار النية والاخلاص وهو مومن
ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون
للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا
عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب علي الطاعة كلا
كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد
بالعطاء مرة بعد اخري ونجعل انفه مددا لسالفه هولاء وهولاء
بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان
عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مومن ولا كافر
تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض في الرزق
وانتصاب كيف بفضلنا علي الحال وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكثر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله
الها اخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد
فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتي قعدت كانها حربة او
فتعجز من قولهم قعد عن الشي اذا عجز عنه مذموما مخذولا
جامعا علي نفسك الذم من الملايكة والمومنين والخذلان
من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضي
ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه
لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة
ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا
بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش
ولا

ولا يجوز ان يتعلق البا بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما
يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية
زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون الموكدة
الفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل علي قراءة حمزة والكسائي
من الف يبلغان الراجع الي الوالدين وكلاهما عطف علي
احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا
للالف ومعني عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل
لهما اف فلا تتضجر مما تستقذر منهما وتستثقل من مونتهما
وهو صوت يدل علي تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو
اتضجر وهو مبني علي الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه
في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب بالفتح علي التخفيف وقرئ به منونا وبالضم
للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل
علي المنع من ساير انواع الايذا قياسا بطريق الاولي وقيل
عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع
رسول الله صلي الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه
وهو في صف المشركين نهي عما يوذيهما بعد الامر بالا بالاحسان
بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه باغلاظ وقيل
النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف
والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما
جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا
كما جعل لبيد في قوله في غداة ريح قد كشفت

وقرة اذا اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا او للقر
زماما وامره بخفضها مبالغة واراد جناحه لقوله
واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان
والمبالغة كما اضيف حاتم للجود والمعنى واخفض
لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما
لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليها وقل رب
ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف
برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان
يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي
وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين
روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر ان الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما
في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا
ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين
للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية
او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما
لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه بجنايته اوليا
لوروده على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم

وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم
اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي
القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم وحجب
عنهم والمساكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا
بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال اوفي
الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم
واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف
في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن
ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان
لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما ينبغي ان يطاع واما
تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين
وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه
او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه
ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز

ان ينطق به بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا
اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برجائك عليهم
بالجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل
و نحس وقيل القول الميسور الدعا لهم بالميسور يعني
اليسير مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل
يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما وامر بالاقتصاد
بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند
الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا
نادما او منقطعا بك لاشي عندك من حسره السفر اذا
بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة
الي ساعة فعد الينا فذهب الي امه فقالت له قل له ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع
قميصه واعطاه اياه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا
للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان
ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يوسعه ويضيقه
بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة
الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
ان يريد ان البسط والقبض من الله تعالى العالم
بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان ~~يقصدوا~~
يقتصدوا

يقتصدوا وانه تعالى يبسط تارة ويقبض تارة اخرى فاستنوا
بسنته سبحانه ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل
البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم
مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال
نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ذنبا
كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطا الاثم
يقال خطا خطا كاثم اثما وقرا ابن عامر خطا وهو اسم من
اخطا يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر
وحذر وقرا ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او
مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكنه جا تخاطا في قوله
تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب
وهو مبني عليه وقرئ خطا بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة
مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالقصد والاتيان بالمقدمات
فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح
زائدة وساء سبيلا بئس طريقا طريقه وهو الغصب
على الابضاع المودي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث
كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مومن معصوم
عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا
لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا

تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل علي من عليه او بالقصاص
علي القاتل فان قوله مظلوما يدل علي ان القتل عمد عدوانا
فان الخطا لا يسمي ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان
يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه
بالهلاك والولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويويد الاول قراة
ابي فلا يسرفوا وقراة حمزة والكساي فلا تسرف علي
خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي علي الاستئناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص
بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره
حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما
للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر علي المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان
تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن
حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه وبما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان
لا يضيعه ويفي به او مسولا عنه يسال الناكث ويعاتب
عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموودة باي
ذنب قتلت ويكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسولا
واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان

بالميزان المستوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية
القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجري كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة
والكساي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعرا ذلك خير واحسن
تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من ال اذا رجع
ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه
ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا
او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سوا كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعني شايع وقيل انه
مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويويده قوله
عليه السلام من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري
بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر
والفواد كل اولئك اي كل هذه الاعضا فاجراها مجري
العقلا لما كانت مسولة عن احوالها شاهدة علي صاحبها
هذا وان اولا وان غلب في العقلا لكنه من حيث انه اسم
جمع لذا وهو يعم القبيلين جا لغيرهم كقوله ذم المنازل
بعد منزلة اللوي والعيش بعد اوليك الايام كان
عنه مسولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها
مسولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان

يكون الضمير في عنه مصدر لا تقف او لصاحب السمع
والبصر وقيل مسئولا عنه كقولهم غير المغضوب عليهم (مسندا الي)
والمعني لسان صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم
مقامه لا يتقدم وفيه دليل علي ان العبد مواخذ بعزمه
علي المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة
ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح
وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان
وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال
طولا بتطاول وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان
الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوي ليس في التذلل كل
ذلك اشارة الي الخصال الخمس والعشرين المذكورة في قوله
ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها
المكتوبة في الواح موسي كان سيئه يعني المنهي عنه فان
المذكورة مامورات ومناهي وقرا الحجازيان والبصريان
سيئة علي انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الي
ما نهي عنه خاصة وعلي هذا قوله عند ربك مكروها بدل من
سيئة او صفة لها محمولة علي المعني فانه بمعني سيئا وقد قرئ به (مكروها)
ويجوز ان ينتصب علي الحال من المستكن في كان او في ظرف
علي انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي
لا ما يقابل المراد لقيام القاطع علي ان الحوادث كلها واقعة
بارادته تعالي ذلك اشارة الي الاحكام المتقدمة
مما اوحي اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته
والخير

والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه
علي ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل
عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه
راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك
في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبي فقال فتلقي في جهنم
ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالي
افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قال الملائكة بنات الله
والهمزة للانكار والمعني افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم
البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم
وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي
خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها وبتفضيل انفسكم عليه
حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلون الملائكة الذين هم من اشرف
خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعني بوجوه
من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد
بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير صرفنا
القول في هذا المعني او اوقعنا التصريف فيه وقرئ
صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي
هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعني
التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة
قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون وقرا ابن
كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده علي ان الكلام مع الرسول
صلي الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو

وابوبكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يخاطب المشركين به والثانية مما نزه به نفسه
عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم
وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه سبحانه
والطاعة لعلمهم بقدرته تعالى وعجزهم كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزه
تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية
البعد كما تقولون فانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو
كونه واجب الوجود ومركبه واجب الوجود والبقا لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع
بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان
من شيء الا يسبح بحمده ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع
الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان
يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده
الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند
من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو بكر تسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات
القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا
مستورا يحجبهم عن فهم ما يقراه عليهم سترا ذا ستر كقوله
وعده

وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب اخر
لا يفهمونها ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل
عليهم من الايات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة
في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على
الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها
وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا
على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنعهم عن فهم المعنى وادراك اللفظ
واذا ذكرت ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به
الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى
وحدا او وحدة ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع
التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد
وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزا
بك وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم
نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون
اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به ونجوى
مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان
تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم
نجوى على وضع الظالم موضع الضمير للدلالة على ان

تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذي
سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي
الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون
فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى
طعن يوجه فيها فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري
ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما
بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان
لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما
يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شي منها فان
قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في
قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت
غضة موصوفة بالحياة والشي اقبل لما عهد فيه مما لم
يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم
ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك رؤوسهم
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزا ويقولون متى هو
قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه
على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم
عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
ابا

اي يوم يبعثكم فتستجيبون استجابة لهما الدعا والاستجابة
للتنبيه على سرعتها وتيسير امرها فان المقصود منها
الاحضار للمحاسبة والجزا بحمده حال منهم اي حامدين لله
على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤوسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد
الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما
ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا
التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المرا والشر فلعل
المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان
الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم
اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم تفسير للتي
هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار
فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب
لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا
اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال
منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر
اعم رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في
السموات والارض باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته

من يشا وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان
العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض
بالفضايل النفسانية والتبري عن العلايق الجسمانية لا بكثرة
الاموال والاتباع حتي داود فانه وان شرفه بها اوحي اليه
من الكتاب لا بها او بما من الملك قبله هو اشارة الي تفضيل رسول الله
صلي الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا تنبيه علي
وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبيا وامته خير الامم
المدلول عليه بما في كتب في الزبور من ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه بقوله ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر لانه في الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ويويده قراة حمزة بالضم فهو
كالعباس او الفضل او لان المراد واتينا داود بعض
الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل
ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملايكة والمسيح
وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم
كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك
منكم الي غيركم اوليك الذين يدعون يبتغون الي ربهم
الوسيلة اي هولا الالهة يبتغون الي الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو
اقرب منهم الي الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف يزعمون
انهم

انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان
يحذره كل واحد حتي الرسل والملايكة وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان
ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما
منعنا ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال الايات التي
اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين
هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود فانها لو ارسلت لكذبوا بها
تكذيب اوليك واستوجبوا الاستيصال علي ما مضي
به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يومن
ومن يلد من يومن ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة
فقال واتينا ثمود الناقة بسوالهم مبصرة بينة ذات ابصار
او بصاير او جاعليهم ذوي بصاير وقري بالفتح فظلموا
بها فكفروا بها فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل
بالايات اي الايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل
فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران
الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر
الي يوم القيامة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس

من يشا وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان

فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش يعني اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير
والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وما جعلنا الرويا التي
اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان
في المنام ومن قال انه في اليقظة وفسر الرويا بالروية
او عام الحديبية حين راي انه دخل مكة وفيه ان
الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
رويا راها في وقعة بدر كقوله اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولما روي انه لما ورد ماء بدر قال لكاني انظر الى مصارع
القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان وتسامعت
به قريش واستسخروا منه وقيل راي قوما من بني امية
يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم
من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا يكون المراد
بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة
في القران عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون
ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان
يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشا النعامة
من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان
يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها
وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل
الجحيم

الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة
موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت
بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقد قريت بالرفع
على الابتدا والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران
كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا
طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من
الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين منه اي ااسجد له
وهو طين واصله طين اي انه على الوجوه الثلاثة الانكار
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب
لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن
اخرتني الى يوم القيامة كلام مبتدا واللام موطية
للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغوا
الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك
يتسهل له استنباطا من قول الملايكة اتجعل فيها من

بفسد فيها مع التقدير او نفرسا من خلقه ذا شهوه
وهم وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد
وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاوكم جزاءك وجزاءهم فغلب
المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم
فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار
فعله او بما في جزاوكم من معنى تجازون او حال موطية
لقوله موفورا واستفزز استخف من استطعت منهم
ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد
واجلب عليهم صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه
السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب
ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على
قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصله
وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس
وندس ومعناه جمعك الرجل وقرئ رجالك ورجّالك
وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من
الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث
على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه
بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزايغة
والحرف

والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة
لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان
مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه الصواب ان عبادي
يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين تخصيصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم
قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك
على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في
البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون
عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم
ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا
مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه
وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعوا لكشفه الا
اياه وضل كل من يعبدونه عن اعانتكم الا الله فلما نجاكم
نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم
في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطا فتى تمكن في المعالي
واعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل
للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفا للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر
على ان يهلككم بالغرق في البحر قادر ان يهلككم في البر بان

بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله
وانتم عليه او يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة ليخسف
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي
بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل
كفروا واعرضوا وان الجانب والجهات في قدرته سوا لا تغفل
من فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا وزيحا تحصب اي
ترمي بالحصا ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد
لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي
تحملكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشي
الا قصفته اي كسرته فيغرقكم بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم
نعمة الانجا ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او
صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصوره والمزاج الاعدل واعتدال
القامه والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشاره والخط
والاهتدا الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن
من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلويه والسفليه الى
ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصايه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه
بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر
على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه
او

اوحملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الما ورزقناهم من الطيبات
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بالغلبة والاستيلا او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملايكة او الخواص منهم ولا
يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع النظر
وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه
ولا يظلمون وقرى يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا
على ان الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل
منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما
في يدعى كل اناس بامامهم بمن ايتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين
وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب
وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين
عليهما السلام وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي
كتاب عمله فاوليك يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شي وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي
في معنى الجمع وتعليق القراة بايتا الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله
اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر
بذلك فان الاعمى لا يقرا الكتاب والمعنى من كان في هذه الدنيا اعمى القلب
لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في
الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتدا بعد لا ينفع والاعمى
مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك
لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط
في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من
حيث انها تصير يا في التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرا ورش بين بين

[illegible]

فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا
علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة
فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من
استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي
اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك
خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ~~ولولا ان ثبتناك~~
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت
ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن
اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان
العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين
لمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة
وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم
اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد
بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا
نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم من الارض من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك
فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا
فالحق بها حتى نومن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت ثم رجع
ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا

باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا
لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه قال شعر عفت الديار خلافهم فكانما بسط
الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب
على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم
من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل
عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل ما التركيب للانتقال
ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام
كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك
عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق
الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقران الفجر وصلوة الصبح
سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب
القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر
بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا
ان قران الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة
من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك
بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلاة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان
الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فاترك الهجود للصلاة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك

على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه وهو
مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى
ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال المقام الذي اشفع فيه لامتي
ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذلك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او
الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى
بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا
عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله
في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرى مدخل ومخرج بالفتح على
معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب
وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا
غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة
وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم
كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض

والمعنى

والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات الشفا وقرا البصريان ننزل بالتخفيف
ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة
والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغني
مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا
ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى
نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد الياس من روح الله
قل كل يعمل على شاكلته قل كل واحد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في
الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي
من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث
بتكوينه على ان السوال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استاثره الله بعلمه لما روي ان
اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب
عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من
الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه
بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة
من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه
الحس ولا شيا من احوال المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته
الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب
وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا
الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه
لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم
به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين

وهو بالاضافة اليه كثير **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك** واللام الاولى
موطية للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا** من يتوكل
علينا باسترداده مسطورا محفوظا **الا رحمة من ربك** فانها ان نالتك فلعلها
تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله **ان فضله كان**
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه **قل لئن**
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى **لا ياتون بمثله** وفيهم العرب العرباء وارباب
البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة
ولولاها لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير **شعر**
وان اتاه خليل يوم مسئلة ۞ يقول لا غائب مالي ولا حرم **ولو كان بعضهم**
لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم
بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون
الاية تقرير القوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا **ولقد صرفنا** كررنا بوجوه مختلفة
زيادة في التقرير والبيان **للناس في هذا القران من كل مثل** من كل معنى
هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس **فابى اكثر الناس الا كفورا**
الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي **وقالوا لن نومن**
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان
اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر لنا
بالتخفيف والارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء اذا زخر **او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار**
خلالها تفجيرا او يكون بستان يشتمل على ذلك **او تسقط السماء كما**
زعمت علينا كسفا بعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء

وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وحمزة والكسائي وابو عمرو ويعقوب
في جميع القران الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى
مفعول كالطحن **او تاتي بالله والملائكة قبيلا** كفيلا بما تدعيه اي شاهدا
على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال
الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله **شعر** ومن يك امسى بالمدينة رحله
فاني وقيار بها لغريب ۞ او جماعة فيكون حالا من الملائكة **او يكون لك بيت من**
زخرف من ذهب وقرئ به واصله الزينة **او ترقى في السماء** في معارجها **ولن نومن**
لرقيك وحده **حتى تنزل علينا كتابا نقروه** وكان فيه تصديقك **قل**
سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في
القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول صلى الله عليه وسلم **هل كنت**
الا بشرا كسائر الناس **رسولا** كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله
عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى
يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا **وما منع الناس ان يومنوا اذ**
جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق **الا ان قالوا**
ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا **قل** جوابا
لشبهتهم **لو كان في الارض ملائكة يمشون** كما يمشي بنوا ادم **مطمئنين** ساكنين
فيها **لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي

منه واما الانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من منه فعامتهم عماة عن ادراك
الملك والتلقي منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا
يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق
دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال
او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة
فيجازيهم عليه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد الكفار ومن
يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم فيسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على
اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر
اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم
يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق
ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس
ماواهم جهنم كلما خبت سكن لهيبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا
توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة
بعد الافنا جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافنا واليه الاشارة بقوله ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عقابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا
منهن والاعادة اصعب عليه من الابدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت
او القيمة فابى

(٢٢٧

فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم ❊ لو ذات سوار
لطمتني ❊ وفايدة الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا
لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاذ بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع
لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى
جود الله وكرمه هذا وان البخلا اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان
بنا امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله
عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده
ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع سميت بذلك
لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت حكم مستانف زايد على الجواب ولذلك غير فيه
سياق الكلام فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضي
بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني
اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك
او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم
او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانية القلب وعلى هذا

كان اذ نصب باتينا او باضمار يخبرك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت
يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا
رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على
الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون
لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف
موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي
اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة
يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا
ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل على الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل
وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك
الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا
فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم
شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس
على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة
فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل

لاي ان لم تومنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب
السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق
والمبطل وراوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون
تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلا
ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجاز وعده في
تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران
عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كاينا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال
والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران
خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن
فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين
اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن
الاطلاق والافضا الى المقصود وهو اوفق لقوله اياما تدعوا فله الاسما
الحسنى والدعا في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين
حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا
للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسما الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا

تجهر بصلاتك بقراة حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع من خلفك من المومنين وابتغ
بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصار في
جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه كان يخفت ويقول
اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان
يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا
تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات او الجهر ليلا
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير
جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه سبحانه كامل الذات المنفرد بالايجاد
والمنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمه او منعم عليه ولذلك
عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه
والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه
في ذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرا سورة بني
اسرايل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقية ومايتا اوقية والله سبحانه عز وجل اعلم تم بحمد الله

الجزء الاول ويتلوه
الثاني والحمد لله
على ذلك